۞سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ
يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ
فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ
مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم
مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

مثال ايجابي :قصة القبلة 142-142

*الصحيح المسند من أسباب النزول قال ابن إسحاق: عن البراء ﵁ قال
كان رسول الله ﷺ يصلى نحو بيت المقدس و يكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله فأنزل الله
{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}
فقال رجال من المسلمين وددنا لو علمنا علم من مات قبل أن نصرف إلى القبلة فأنزل الله
{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}و قال السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله
{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ} إلى آخر الآية

(سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ)مُشْرِكُو الْعَرَبِ وَ قِيلَ: أَحْبَارُ يَهُودَ وَ قِيلَ: الْمُنَافِقُونَ وَ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ

قد اشتملت الآية الأولى على:-

1- معجـــزة 2- و تسليـــة 3-و تطميـــن قلوب المؤمنين

و اعتـــراض و جـــوابه من ثلاثة أوجه و صفة المعترض و صفة المسلم لحكم الله دينه.

فأخبر تعالى أنه سيعترض السفهاء من الناس و هم الذين لا يعرفون مصالح أنفسهم بل يضيعونها و يبيعونها بأبخس ثمن و هم اليهود و النصارى و من أشبههم من المعترضين على أحكام الله وشرائعه

و ذلك أن المسلمين كانوا مأمورين باستقبال بيت المقدس مدة مقامهم بمكة ثم بعد الهجرة إلى المدينة نحو سنة و نصف – لما لله تعالى في ذلك من الحكم التي سيشير إلى بعضها

و كانت حكمته تقتضي أمرهم باستقبال الكعبة فأخبرهم أنه لا بد أن يقول السفهاء من الناس: -

(مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ)و هى استقبال بيت المقدس أي: أيُّ شيء صرفهم عنه؟

و في ذلك الاعتراض على حكم الله و شرعه و فضله و إحسانه فسَّلاهم وأخبر بوقوعه

و أنه إنما يقع ممن اتصف بالسفه قليل العقل والحلم و الديانة

فلا تبالوا بهم إذ قد علم مصدر هذا الكلام فالعاقل لا يبالي باعتراض السفيه ولا يلقي له ذهنه.

–و دلت الآية على أنه لا يعترض على أحكام الله إلا سفيه جاهل معاند

–و أما الرشيد المؤمن العاقل فيتلقى أحكام ربه بالقبول و الانقياد و التسليم كما قال تعالى:–

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا) [الأحزاب:36]

(قُل)لهم مجيبا:–(لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ)

فإذا كان المشرق و المغرب ملكا لله ليس جهة من الجهات خارجة عن ملكه

و مع هذا(يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)و منه هدايتكم إلى هذه القبلة التي هى من ملة أبيكم إبراهيم

فلأي شيء يعترض المعترض بتوليتكم قبلة داخلة تحت ملك الله لم تستقبلوا جهة ليست ملكا له؟ 142

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)عدلا خيارا و ما عدا الوسط فأطراف داخلة تحت الخطر

فجعل الله هذه الأمة وسطـــــا في كل أمور الدين:–

1–وسطـــــا في الأنبياء بين من غلا فيهم كالنصارى و بين من جفاهم كاليهود بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك

2–و وسطـــــا في الشريعة لا تشديدات اليهود وآصارهم و لا تهاون النصارى.

3–و في باب الطهـــــارة و المطـــــاعم لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم

و لا يطهرهم الماء من النجاسات

و قد حرمت عليهم الطيبات([1]) عقوبة لهم و لا كالنصـــــارى الذين لا ينجسون شيئا و لا يحرمون شيئا

بل أبـــــاحوا ما دبَّ و درج.

*بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها و أباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح

و حرم عليهم الخبائث من ذلك فلهذه الأمة من الدين أكمله ومن الأخلاق أجلها ومن الأعمال أفضلها.

و وهبهم الله من العلـــــم و الحـــــلم و العـــــدل و الإحســـــان

ما لم يهبه لأمة سواهم فلذلك كانوا (أُمَّةً وَسَطًا) كاملين

---

[1] { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [الأنعام: 146]

و هو كل ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنَّعام وشحوم البقر والغنم إلا ما عَلِق من الشحم بظهورها أو أمعائها أو اختلط بعظم الألْية والجنب ونحو ذلك

(لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ)

بسبب عدالتهم و حكمهم بالقسط يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان ولا يحكم عليهم غيرهم

–فما شهدت له هذه الأمة بالقبول فهو مقبول –و ما شهدت له بالرد فهو مردود.

فإن قيل: كيف يقبـــــل حكمهم على غيرهم و الحال أن كل مختصمين غير مقبول قول بعضهم على بعض؟

قيل: إنما لم يقبل قول أحد المتخاصمين لوجود التهمة فأما إذا انتفت التهمة وحصلت العدالة التامة كما في هذه الأمة فإنما المقصود الحكم بالعدل و الحق و شرط ذلك العلم والعدل وهما موجودان في هذه الأمة فقبل قولها. فإن شَك شاك في فضلها وطلب مزكيا لها فهو أكمل الخلق نبيهم ﷺفلهذا قال تعالى:

(وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ)و من شهادة هذه الأمة على غيرهم أنه إذا كان يوم القيامة وسأل الله المرسلين عن تبليغهم و الأمم المكذبة عن ذلك و أنكروا أن الأنبياء بلغتهم استشهدت الأنبياء بهذه الأمة و زكاها نبيها.

و فى الآية دليـــــل على أن:–

1– إجماع هذه الأمة حجة قاطعة2– و أنهم معصومون عن الخطأ لإطلاق قوله: (وَسَطًا)

فلو قدر اتفاقهم على الخطأ لم يكونوا وسطا إلا في بعض الأمور و لقوله:(لتكونوا شهداء على الناس)

يقتضي أنهم إذا شهدوا على حكم أن الله أحله أو حرمه أو أوجبه فإنها معصومة في ذلك.

و فيها اشتراط العدالة في الحكم والشهادة والفتيا ونحو ذلك.

كقوله(وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ) [الحج:78]

*البخارى 4487-عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيُقَالُ لِأُمَّتِه:هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: {وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143]

فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[البقرة: 143] "

(وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ)و هى استقبال بيت المقدس أولا

(إِلَّا لِنَعْلَمَ)أى: علما يتعلق به الثواب و العقاب و إلا فهو تعالى عـــــالم بكل الأمور قبل وجودها.

و لكن هذا العلم لا يعلق عليه ثـــــوابا و لا عقـــابا لتمــــام عدله و إقـــامة الحجة على عباده

بل إذا وجدت أعمالهم ترتب عليها الثواب و العقاب أى: شرعنا تلك القبلة لنعـــــلم ونمتحـــــن

(مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ)و يؤمن به فيتبعه على كل حال لأنه عبد مأمور مدبر و لأنه قد أخبرت الكتب المتقدمة أنه يستقبل الكعبة فالمنصف الذي مقصوده الحق مما يزيده ذلك إيمانا وطاعة للرسول.

(مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ)و أما من انقلب على عقبيه وأعرض عن الحق و اتبع هواه فإنه يزداد كفرا إلى كفره و حيرة إلى حيرته و يدلي بالحجة الباطلة المبنية على شبهة لا حقيقة لها.

(وَإِن كَانَتۡ)صرفك عنها (لَكَبِيرَةً)شـــــاقة(إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ)

فعرفوا بذلك نعمة الله عليهم و شكروا و أقروا له بالإحسان حيث وجههم إلى هذا البيت العظيم الذي فضله على سائر بقاع الأرض و جعل قصده ركنا من أركان الإسلام و هادما للذنوب و الآثام

فلهذا خـــــف عليهم ذلك وشـــــق على من ســـــواهم.

(وَمَا كَانَ ٱللَّهُ) ما ينبغى له و لا يليق به تعالى بل هي من الممتنعات عليه فأخبر أنه ممتنع عليه ومستحيل

(لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ)صلاتكــم إلي بيت المقدس ((ثوابها))

*الصحيح المسند من أسباب النزول عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ المَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصَارِ وَأَنَّهُ «صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَ كَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ وَ أَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاَةٍ صَلَّاهَا صَلاَةَ العَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ» فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَ هُمْ رَاكِعُونَ فَقَالَ:

أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺقِبَلَ مَكَّةَ فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ البَيْتِ وَ كَانَتِ اليَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ :- ((إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ وَ أَهْلُ الكِتَابِ))فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ البَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ.

قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنِ البَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا:أَنَّهُ مَاتَ عَلَى القِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}

و حفـــــظه نوعـــــان:-

1-حفظ عن الضيـــــاع و البطـــــلان بعصمته لهم عن كل مفسد و مزيل له و منقـــــص من:-

1-المحـــــن المقلقة 2-و الأهـــــواء الصادة

و2-حفظ له بتنميـــــته لهم:-

1-و توفيقهم لما يزداد به إيمانهم 2-و يتـــــم به إيقانهم فكما ابتدأكم بأن هـــــداكم للإيمان فسيحفظه لكم ويتم نعمته بتنميته و تنمية أجره وثوابه

3- و حفظه من كل مكـــــدر بل إذا وجدت المحن المقصود منها تبيين المؤمن الصادق من الكاذب فإنها تمحص المؤمنين و تظهر صدقهم و كأن في هذا احترازا عما قد يقال إن قوله: -

(وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ)

قد يكون سببا لترك بعض المؤمنين إيمانهم فدفع هذا الوهم بقوله:(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) بتقديره لهذه المحنة أو غيرها. و دخل في ذلك من مات من المؤمنين قبل تحويل الكعبة

–فإن الله لا يضيع إيمانهم لكونهم امتثلوا أمر الله و طاعة رسوله في وقتها وطاعة الله امتثال أمره في كل وقت بحسب ذلك

و فى هذه الآية:–دليل لمذهب أهل السنة و الجماعة أن الإيمان تدخل فيه أعمال الجوارح.

(إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ)شـــديد الرحـــــمة بهم عظيمـــــها فمن رأفته و رحمته بهم

1–أن يُتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها 2–أن ميَّزَ عنهم من دخل في الإيمان بلسانه دون قلبه

3–و أن امتحنهم امتحانا زاد به إيمانهم و ارتفعت به درجته 4–و أن وجههم إلى أشرف البيوت و أجلها.

البخارى999-عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ:قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺسَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ:
«أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لاَ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ فَقَالَ:

«لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»143

(قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ)كثرة تردده في جميع جهاته شوقا وانتظارا لنزول الوحي باستقبال الكعبة

(وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ)و لم يقل:« بصرك » لزيادة اهتمامه و لأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب البصر.

(فَلَنُوَلِّيَنَّكَ)نوجهك لــــولايتنا إياك (قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا)تحبها وهي الكعبة وفي هذا بيان لفضله وشرفه ﷺ

حيث إن الله تعالى يسارع في رضاه ثم صرح له باستقبالها فقال:

(فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ)و الوجه: ما أقبل من بدن الإنسان

(وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ)من بر وبحر و شرق و غرب جنوب و شمال.

(فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ)جهتـــــه–ففيها اشتراط استقبال الكعبة للصلوات كلها فرضها و نفلها و أنه إن أمكن استقبال عينها و إلا فيكفى شطرها وجهتها و أن الالتفات بالبدن مبطل للصلاة لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده

وَ لَا يُسْتَثْنَى مِنْ هَذَا شَيْء سِوَى:-
1-النَّافِلَة فِي حَالِ السفر فإنه يُصَلِّيهَا حَيْثُمَا تَوَجَّهَ قَالبه و قَلْبُه نَحْوَ الْكَعْبَة.
2-وَ كَذَا فِي حَالِ الْمُسَايَفَة فِي الْقِتَالِ يُصَلِّي عَلَى كُلِّ حَالٍ
3-وَ كَذَا مَنْ جَهِلَ جِهَةَ الْقِبْلَة يُصَلِّي بِاجْتِهَادِهِ وَإِنْ كَانَ مُخْطِئًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.

(وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ)و اليهودُ -الَّذِينَ أَنْكَرُوا اسْتِقْبَالَكُمُ الْكَعْبَةَ وَ انْصِرَافَكُمْ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ

(لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ)

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُوجهك إِلَيْهَا بِمَا فِي كُتُبِهِمْ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ مِنَ النَّعْتِ وَ الصِّفَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺو أمَّته وَ مَا خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وشَرَّفه مِنَ الشَّرِيعَةِ الْكَامِلَّةِ الْعَظِيمَةِ

وَ لَكِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَكَاتَمُونَ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ((حَسَــــدًا وَ كُـــفْرًا وَ عِنَـــادًا))

وَ لِهَذَا يُهَدِّدُهُمْ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: (وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ)

بل يحفظ عليهم أعمالهم و يجازيهم عليها–و فيها وعيـــــد للمعترضين –و تسليـــــة للمؤمنين.

–و لما ذكر تعالى فيما تقدم المعترضين على ذلك من أهل الكتاب وغيرهم وذكر جوابهم ذكر هنا أن:–

*أهل الكتاب والعلم منهم يعلمون أنك في ذلك على حق و أمر لما يجدونه في كتبهم فيعترضون عنادا و بغيـا

*فإذا كانوا يعلمون بخطئهم فلا تبالوا بذلك

*فإن الإنسان إنما يغمه اعتراض من اعترض عليه إذا كان الأمر مشتبها وكان ممكنا أن يكون معه صواب.

*فأما إذا تيقن أن الصواب و الحق مع المعترض عليه و أن المعترض معاند عارف ببطلان قوله فإنه لا محل للمبالاة بل ينتظر بالمعترض العقوبة الدنيوية و الأخروية144

فلهذا قال(وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ)بكل برهان و دليل يوضح قولك و يبين ما تدعو إليه

(مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ)ما تبعوك لأن اتباع القبلة دليل على اتباعه و لأن السبب هو شأن القبلة

و إنما كان الأمر كذلك لأنهم معاندون عـــــرفوا الحق و تـــــركوه

–فالآيات إنما تفيد وينتفع بها من يتطلب الحق و هو مشتبه عليه فتوضح له الآيات البينات

–و أما من جزم بعدم اتباع الحق فلا حيلة فيه.

(وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ)و أيضا فإن اختلافهم فيما بينهم حاصل وبعضهم غير تابع قبلة بعض فليس بغريب منهم مع ذلك أن لا يتبعوا قبلتك يا محمد و هم الأعداء حقيقة الحسدة

(وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ)أبلغ من قوله: « وَلا تَتَّبِعْ » لأن ذلك يتضمن أنه ﷺاتصف بمخالفتهم فلا يمكن وقوع ذلك منه

و لم يقل: « ولو أتوا بكل آية » لأنهم لا دليل لهم على قولهم.

–و كذلك إذا تبين الحــــق بأدلته اليقينيــــة لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه لأنها لا حد لها وقلأنه يعلم بطلانها للعلم بأن كل ما نافى الحق الواضح فهو باطل فيكون حل الشبه من باب التبرع.

(وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم)إنما قال:« أهواءهم »و لم يقل « دينهم »لأن:–

ما هم عليه مجرد أهوية نفس حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين و من ترك الدين اتبع الهوى ولا محالة

قال تعالى:(أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [الجاثية:23]

(مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ)بأنك على الحق وهم على الباطل

(إِنَّكَ إِذٗا)إن اتبعتهم فهذا احتراز لئلا تنفصل هذه الجملة عما قبلها ولو في الأفهام

(لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ) أي: داخل فيهم و مندرج في جملتهم

و أي ظلم أعظم من ظلم من علم الحق والباطل فآثر الباطل على الحق

✡و هذا وإن كان الخطاب له ﷺفإن أمته داخلة في ذلك

✡و أيضا فإذا كان هو ﷺلو فعل ذلك – وحاشاه– صار ظالما مع علو مرتبته وكثرة حسناته فغيره من باب أولى وأحرى145

*من موقع الاسلام سؤال و جواب الرابط

و أما الذين قبلتهم المشرق باستمرار : فهم طوائف من النصارى ! و ليسوا المسلمين .

قال الله تعالى(وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) البقرة/ 145 .

قال الشيخ صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي :

النصارى يصلُّون إلى مشرق الشمس و يتّخذونها قبْلتهم و قد كان المسيح ﷺطول مقامه يصلي إلى قبلة بيت المقدس قبلة موسى بن عمران والأنبياء

ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ
وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ
فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨
وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٩ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ
وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ
فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٠ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ
يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١
فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣

(ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ)

أهل الكتاب قد تقرر عندهم و عرفوا أن محمدا رسول الله و أن ما جاء به حق و صدق

و تيقنوا ذلك كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون عليهم بغيرهم

فمعرفتهم بمحمد ﷺوصلت إلى حد لا يشكون فيه ولا يمترون

(وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ)و لكن فريقا منهم – و هم أكثرهم – الذين كفروا به

(لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ) كتموا هذه الشهادة مع تيقنها (وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ)

و في ضمـــــن ذلك:-

1-تسليـــــة للرسول و المؤمنين 2-و تحـــــذير له من شرهم و شبههم

و فريق منهم لم يكتموا الحق و هم يعلمون فمنهم من آمن به و منهم من كفر به جهلا

فالعـــــالم عليه :-

1-إظهار الحق و تبيينه و تزيينه بكل ما يقدر عليه من عبارة و برهان و مثال و غير ذلك

2-و إبطال الباطل و تمييزه عن الحق و تشيينه

3- و تقبيحه للنفوس بكل طريق مؤد لذلك فهولاء الكاتمون عكسوا الأمر فانعكست أحوالهم146

(ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ)هذا الحق الذي هو أحق أن يسمى حقا من كل شيء لما اشتمل عليه من:-

1-المطالب العالية 2- و الأوامر الحسنة 3- و تزكية النفوس وحثها على تحصيل مصالحها و دفع مفاسدها

لصدوره من ربك الذي من جملة تربيته لك أن أنزل عليك هذا القرآن الذي فيه

(((تربية العقول و النفوس و جميع المصالح)))

(فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ)

فلا يحصل لك أدنى شك و ريبة فيه بل تفكَّر فيه وتأمل حتى تصل بذلك إلى اليقين

لأن التفكر فيه لا محالة دافع للشك موصل لليقين147

(وَلِكُلّٖ)كل أهل دين و ملة له

(وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ)يتوجه إليها في عبادته

و ليس الشأن في استقبال القبلة فإنه من الشرائع التي تتغير بها الأزمنة و الأحوال و يدخلها النسخ و النقل من جهة إلى جهة

و لكن الشأن كل الشأن في امتثال طاعة الله والتقرب إليه وطلب الزلفى عنده

((فهذا هو عنوان السعادة و منشور الولاية))

و هو الذي إذا لم تتصف به النفوس حصلت لها خسارة الدنيا و الآخرة كما أنها إذا اتصفت به فهى الرابحة على الحقيقة و هذا أمر متفق عليه في جميع الشرائع و هو الذي خلق الله له الخلق وأمرهم به.

(فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ)

و الأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات

فإن الاستباق إليها يتضمن :-

1-فعلهـا 2- و تكميلها 3-و إيقاعـها على أكمل الأحوال 4- و المبـــــادرة إليها

و من سبق في الدنيا إلى الخيرات فهو السابق في الآخرة إلى الجنات فالسابقون أعلى الخلق درجة

و الخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل من صلاة وصيام وزكوات وحج عمرة وجهاد ونفع متعد وقاصر.

ولما كان أقوى ما يحث النفوس على المسارعة إلى الخير وينشطها ما رتب الله عليها من الثواب قال:

(أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)

فيجمعكم ليوم القيامة بقدرته فيجازي كل عامل بعمله(لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى)[النجم:31]

و يستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل:-

1-كالصـــــــلاة في أول وقتها 2-و المبادرة إلى إبراء الذمة من الصيام والحج والعمرة وإخراج الزكاة

3-و الإتيان بسنن العبادات وآدابها فلله ما أجمعها و أنفعها من آية ﴿١٤٨﴾

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ)فى أسفارك و غيرها و هذا للعموم(فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ)جهته.

ثم خاطب الأمة عموما فقال:(وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ)

و قال:(وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ)

أكده بـــــــ « إن » و « اللام »لئلا يقع لأحد فيه أدنى شبهة و لئلا يظن أنه على سبيل التشهي لا الامتثال.

(وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)بل هو مطلع عليكم في جميع أحوالكم فتأدبوا معه و راقبوه بامتثال أوامره

و اجتناب نواهيه فإن أعمالكم غير مغفول عنها بل مجازون عليها أتم الجزاء إن خيرا فخير و إن شرا فشر149

و قال هنا:(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ)

شرعنا لكم استقبال الكعبة المشرفة لينقطع عنكم احتجاج الناس من أهل الكتاب و المشركين

-فإنه لو بقي مستقبلا بيت المقدس لتوجهت عليه الحجة:-

فإن أهل الكتاب يجدون فى كتابهم أن قبلته المستقرة(((هي الكعبة البيت الحرام)))

-و المشركون يرون أن من مفاخرهم هذا البيت العظيم و أنه من ملة إبراهيم و أنه إذا لم يستقبله محمد ﷺ توجهت نحوه حججهم

و قالوا: كيف يدعى أنه على ملة إبراهيم وهو من ذريته و قد ترك استقبال قبلته؟

فباستقبال الكعبة قامت الحجة على أهل الكتاب و المشركين و انقطعت حججهم عليه.

(إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ)من احتج منهم بحجة هو ظالم فيها و ليس لها مستند إلا اتباع الهوى و الظلم

فهذا لا سبيل إلى إقناعه و الاحتجاج عليه و كذلك لا معنى لجعل الشبهة التي يوردونها على سبيل الاحتجاج محلا يؤبه لها و لا يلقى لها بال

فلهذا قال تعالى:(فَلَا تَخْشَوْهُمْ)لأن حجتهم باطلة و الباطل كاسمه مخذول مخذول صاحبه

و هذا بخلاف صاحب الحق فإن للحق صولة و عزا يوجب خشية من هو معه

(وَٱخْشَوْنِى)و أمر تعالى بخشيته التي هي أصل كل خير فمن لم يخش الله لم ينكف عن معصيته ولم يمتثل أمره.

وكان صرف المسلمين إلى الكعبة مما حصلت فيه فتنة كبيرة أشـــــاعها أهل الكتاب والمنافقون والمشركون وأكثروا فيها من الكلام والشبه

فلهذا بسطها الله تعالى وبينها أكمل بيان و أكدها بأنواع من التأكيدات التي تضمنتها هذه الآيات منها:

1-الأمـــــر بها ثلاث مرات (((مع كفاية المرة الواحدة))

2- و منها: أن المعهود أن الأمر- إما أن يكون للرسول فتدخل فيه الأمة تبعا- أو للأمة عموما

و فى هذه الآية أمر فيها الرسول بالخصوص في قوله:(فَوَلِّ وَجْهَكَ)و الأمة عموما في قوله:(فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ)

3-و منها:أنه رد فيه جميع الاحتجاجات الباطلة التي أوردها أهل العناد وأبطلها شبهة شبهة كما تقدم توضيحها

4-و منها:أنه قطع الأطماع من اتباع الرسول قبلة أهل الكتاب

5-و منها قوله: (وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ)فمجرد إخبار الصادق العظيم كاف شاف و لكن مع هذا قال:-

(وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ)

6-و منها:أنه أخبر-و هو العالم بالخفيات-أن أهل الكتاب متقرر عندهم صحة هذا الأمر

و لكنهم يكتمون هذه الشهادة مع العلم.

*و لما كان توليته لنا إلى استقبال القبلة نعمة عظيمة و كان لطفه بهذه الأمة و رحمته لم يزل يتزايد

و كلما شرع لهم شريعة فهى نعمة عظيمة قال:

(وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ)فأصل النعمة الهـــــداية لدينه بإرســـال رسوله و إنــزال كتابه

ثم بعد ذلك النعم المتممات لهذا الأصل لا تعد كثرة و لا تحصر منذ بعث الله رسوله إلى أن قرب رحيله

من الدنيا و قد أعطاه الله من الأحوال و النعم و أعطى أمته ما أتم به نعمته عليه و عليهم و أنزل الله عليه:-

ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا[المائدة:3]

(وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)

إِلَى مَا ضَلّت عَنْهُ الْأُمَمُ هَدَيْنَاكُمْ إِلَيْهِ و خَصصْناكم بِهِ وَ لِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ أشرفَ الْأُمَمِ وَ أَفْضَلَهَا.

أى:تعلمون الحق و تعملون به فالله تبارك و تعالى - من رحمته - بالعباد

1-قد يسر لهم أسباب الهداية غاية التيسير 2-و نبههم على سلوك طرقها

3- و بينها لهم أتم تبيين4--حتى إن من جملة ذلك أنه يقيض للحق المعاندين له فيجادلون فيه

فيتضح بذلك الحق و تظهر آياته وأعلامه و يتضح بطلان الباطل وأنه لا حقيقة له

و لولا قيامه في مقابلة الحق لربما لم يتبين حاله لأكثر الخلق و بضدها تتبين الأشياء

فلولا الليل ما عرف فضل النهار

و لولا القبيح ما عرف فضل الحسن و لولا الظلمة ما عرف منفعة النور

و لولا الباطل ما اتضح الحق اتضاحا ظاهرا فلله الحمد على ذلك150

(كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ)

يقول تعالى: إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع و النعم المتممة ليس ذلك ببدع من إحساننا

و لا بأوله بل أنعمنا عليكم بأصول النعم ومتمماتها

فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم تعرفون نسبه وصدقه وأمانته وكماله ونصحه.

(يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا)و هذا يعم الآيات القرآنية وغيرها فهو يتلو عليكم الآيات المبينة للحق من الباطل والهدى من الضلال التي دلتكم أولا على توحيد الله و كماله ثم على صدق رسوله ووجوب الإيمان به ثم على جميع ما أخبر به من المعاد والغيوب حتى حصل لكم الهداية التامة والعلم اليقيني.

(وَيُزَكِّيكُمْ)يطهر أخلاقكم ونفوسكم بتربيتها على الأخلاق الجميلة و تنزيهها عن الأخلاق الرذيلة

و ذلك كتزكيتكم من الشرك إلى التوحيد و من الرياء إلى الإخلاص و من الكذب إلى الصدق

و من الخيانة إلى الأمانة و من الكبر إلى التواضع و من سوء الخلق إلى حسن الخلق

و من التباغض و التهاجر و التقاطع إلى التحاب و التواصل و التوادد ....

(وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ)القرآن ألفاظه و معانيه

(وَٱلْحِكْمَةَ)السنة و قيل:الحكمة معرفة أسرار الشريعة و الفقه فيها و تنزيل الأمور منازلها.

فيكون – على هذا – تعليم السنة داخلا في تعليم الكتاب لأن السنة تبين القرآن وتفسره وتعبر عنه

(وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ)لأنهم كانوا قبل بعثته في ضلال مبين لا علم و لا عمل فكل علم أو عمل نالته هذه الأمة فعلى يده ﷺ و بسببه كان فهذه النعم هي أصول النعم على الإطلاق

و لهى أكبر نعم ينعم بها على عباده فوظيفتهم شكر الله عليها والقيام بها

فلهذا قال تعالى:(فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ)فأمر تعالى بذكره و وعد عليه أفضل جزاء و هو ذكره لمن ذكره

كما قال تعالى على لسان رسوله:*البخارى7405 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ
يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي
وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا
وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً "

–و ذكر الله تعالى أفضله ما تواطأ عليه القلب واللسان و هو الذكر الذي يثمر معرفة الله و محبته و كثرة ثوابه

و الذكر هو رأس الشكر فلهذا أمر به خصوصا ثم من بعده أمر بالشكر عموما فقال:

(وَٱشْكُرُوا۟ لِى)على ما أنعمت عليكم بهذه النعم ودفعت عنكم صنوف النقم

و الشكر يكون:- 1–بالقلب إقرارا بالنعم و اعترافا 2–و باللسان ذكرا وثناء

3–و بالجوارح طاعة لله و انقيادا لأمره و اجتنابا لنهيه

فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة و زيادة في النعم المفقودة قال تعالى:

(تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ) [إبراهيم:7]

و فى الإتيان بالأمر بالشكر بعد النعم الدينية من :–

1-العلم2- و تـزكية الأخلاق

3-و التـوفيق للأعمال بيان أنها أكبر النعم بل هي النعم الحقيقية التي تدوم إذا زال غيرها

و أنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل أن يشكروا الله على ذلك:-

1-ليزيدهم من فضله 2- و ليندفع عنهم الإعجاب فيشتغلوا بالشكر.

و لما كان الشكر ضده الكفر نهى عن ضده فقال: (وَلَا تَكۡفُرُونِ)

المـــــراد بالكــــفر هـــــاهنـــــا:-

1-ما يقابل الشكر فهو كفر النعم وجحدها وعدم القيام بها

2-و يحتمل أن يكون المعنى عاما فيكون الكفر أنواعا كثيرة أعظمه الكفر بالله ثم أنواع المعاصي

على اختلاف أنواعها و أجناسها من الشرك فما دونه.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ)أمر الله تعالى المؤمنين بالاستعانة على أمورهم الدينية و الدنيوية

(بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ)فالصبر هو:-حبس النفس و كفها عما تكره فهو ثلاثة أقسام:

1-صبرها على طاعة الله حتى تؤديها 2- و عن معصية الله حتى تتركها

3- و على أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها

فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر

فلا سبيل لغير الصابر أن يدرك مطلوبه خصوصا الطاعات الشاقة المستمرة فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى:-

1- تحمـــــل الصبر 2-و تجـــــرع المرارة الشاقة

*فإذا لازم صاحبها الصبر فاز بالنجاح

و إن رده المكروه والمشقة عن الصبر و الملازمة عليها لم يدرك شيئا و حصل على الحرمان

*و كذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس و نوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد

فهذه لا يمكن تركها إلا:-

1-بصبر عظيم2-و كف لدواعي قلبه ونـــــوازعها لله تعالى

3-و استعانة بالله على العصمة منها فإنها من الفتن الكبار.

و كذلك البلاء الشاق خصوصا إن استمر فهذا تضعف معه القوى النفسانية و الجسدية

و يوجد مقتضاها و هو التسخط إن لم يقاومها صاحبها :-

1-بالصبــــــر لله 2-و التـــــوكل عليه3-و اللجـــــأ إليه4-و الافتقـــــار على الدوام.

فعلمت أن الصبر محتاج إليه العبد بل مضطر إليه في كل حالة من أحواله

*مسلم(2999) عَنْ صُهَيْبٍ ﵁قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ

وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»( )

فلهذا أمر الله تعالى به وأخبر أنه (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)

أي: مع من كان الصبر لهم خلقا و صفة و ملكة بمعونته و توفيقه و تسديده

1-فهـــانت عليهم بذلك المشاق و المكاره2-و سهـــل عليهم كل عظيم3-و زالـــت عنهم كل صعوبة

و هذه معيـــــة خــــاصة:-

((تقتضي محبته و معونته و نصـــــره و قـــربه)) و هذه منقبة عظيمة للصابرين

فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله لكفى بها فضلا وشرفا

و أما المعيـــــة العــــامة:-

فهي معيـــــة العلــــم و القــــدرة كما في قوله تعالى:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ } [الحديد: 4]

و هذه عــــامة للخلق.

و أمر تعالى بالاستعانة بالصلاة لأن الصلاة هى:-

1- عمــــاد الدين 2-و نـــــور المؤمنين 3- و هى الصـــــلة بين العبد و بين ربه

- فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة مجتمعا فيها ما يلزم فيها و ما يسن و حصل فيها حضور القلب الذى هو لبها فصار العبد إذا دخل فيها

*استشــــعر دخوله على ربه و وقوفه بين يديه موقف العبد الخادم المتأدب

*مستحضــــرا لكل ما يقوله و ما يفعله

*مستغــــرقا بمناجاة ربه و دعائه

((لا جرم أن هذه الصلاة من أكبر المعونة على جميع الأمور))فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر

و لأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة يوجب للعبد في قلبه وصفا وداعيا يدعوه إلي:-

1-امتثال أوامر ربه2-و اجتناب نواهيه ...هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء﴿١٥٣﴾

راجع تعليق عبد الرحيم البخاري علي اصول السنة للحميدي ص 35

وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤
وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥
ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ
مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ
وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ
لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣

(وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ)

*مسلم (1887) عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ:

{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: 169]

قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً»
فَقَالَ:-هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَ نَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا
فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا:
يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا "

*لما ذكر تبارك وتعالى الأمر بالاستعانة بالصبر على جميع الأمور:-ذكر نموذجا مما يستعان بالصبر عليه:-

(((و هو الجهـــــــاد في سبيله)))

1- و هو أفضل الطاعات البدنية 2-و أشقها على النفوس لمشقته في نفسه

3-و لكونه مؤديا للقتل و عدم الحياة التي إنما يرغب الراغبون في هذه الدنيا لحصول الحياة و لوازمها

فكل ما يتصرفون به فإنه سعى لها و دفع لما يضادها ١٥٤

(وَلَنَبۡلُوَنَّكُم)أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن ليتبين الصادق من الكاذب والجازع من الصابر

و هذه سنته تعالى في عباده لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان ولم يحصل معها محنة

لحصل [الاختــــــلاط الذي هو فساد] و حكمة الله تقتضــــــى((تمييز أهل الخيــر من أهل الشـــر)))

هذه فـــــائدة المحن

☼لا إزالــــة ما مع المؤمنين من الإيمان ☼و لا ردهــــم عن دينهم

فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلى عباده (بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ)من الأعداء

(وَٱلْجُوعِ)بشيء يسير منهما لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله أو الجوع لهلكوا و المحن تمحص لا تهلك.

(وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ)و هذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من :-

جوائح سماوية-و غرق-و ضيع-و أخذ الظـــلمة للأموال من(الملوك الظلمة و قطــاع الطريق)و غير ذلك

(وَٱلْأَنفُسِ)1-ذهاب الأحباب من الأولاد و الأقارب و الأصحاب

2-و من أنواع الأمراض فى بدن العبد أو بدن من يحبه

(وَٱلثَّمَرَٰتِۗ)

الحبوب و ثمار النخيل و الأشجار كلها و الخضر ببرد أو برد أو حرق أو آفة سماوية من جراد و نحوه.

فهذه الأمور لا بد أن تقع لأن العليم الخبير أخبر بها فوقعت كما أخبر فإذا وقعت انقسم الناس قسمين: -

1-جــــازعين2-و صـــــابرين فالجازع حصلت له المصيبتان:-

1- فوات المحبوب وهو وجود هذه المصيبة2-و فوات ما هو أعظم منها وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر

1-ففاز بالخسارة و الحرمان2-و نقص ما معه من الإيمان 3-و فاته الصبر و الرضا و الشكران

4- و حصل له السخط الدال على شدة النقصان.

*و أما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب فحبس نفسه عن التسخط قولا و فعلا و احتسب أجرها عند الله و علم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له بل المصيبة تكون نعمة في حقه لأنها صارت طريقا لحصول ما هو خير له و أنفع منها فقد امتثل أمر الله و فاز بالثواب فلهذا قال تعالى:

(وَبَشِّرِ)بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب

فــــــ(ٱلصَّٰبِرِينَ)هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة و المنحة الجسيمة155

ثم وصفهم بقوله:(ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ)و هى كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره.

(قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ)تسلَّوا بِقَوْلِهِمْ هَذَا عَمَّا أَصَابَهُمْ

أى:مملوكون لله مدبرون تحت أمره و تصريفه فليس لنا من أنفسنا و أموالنا شيء

فإذا ابتلانا بشيء منها فقد تصرف أرحم الراحمين بمماليكه و أموالهم

1-فلا اعتراض عليه بل من كمال عبودية العبد علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم الذي أرحم بعبده من نفسه 2-فيوجب له ذلك الرضا عن الله 3-و الشكر له على تدبيره لما هو خير لعبده وإن لم يشعر بذلك

و مع أننا مملوكون لله فإنا إليه راجعون يوم المعاد فمجاز كلٌ عامل بعمله

*فإن صبرنا و احتسبنا ← وجدنا أجرنا موفورا عنده

*و إن جزعنا و سخطنا ← لم يكن حظنا إلا السخط و فوات الأجر

فكون العبد لله و راجع إليه من أقوى أسباب الصبر 156

(أُوْلَٰٓئِكَ)الموصوفون بالصبر المذكور(عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ)ثناء و تنويه بحالهم

(وَرَحۡمَةٞۖ) ثناء من الله عليهم -أمنة من العذاب –

و من رحمته إياهم أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر

(وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ)الذين عرفوا الحق و هو فى هذا الموضع علمهم بأنهم لله

و دلت هذه الآية على أن من لم يصبر فله ضد ما لهم فحصل له الذم من الله و العقوبة و الضلال و الخسار

فما أعظم الفرق بين الفريقين و ما أقل تعب الصابرين وأعظم عناء الجازعين

فقد اشتمـــــلت هاتان الآيتان على:–

1–توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها لتخف وتسهل إذا وقعت

2–و بيـــــان ما تقابل به إذا وقعت وهو الصبر 3–و بيـــــان ما يعين على الصبر

4–و ما للصابر من الأجر ويعلم حال غير الصابر بضد حال الصابر.

5–و أن هذا الابتلاء والامتحان سنـــــة الله التي قد خلت ولن تجد لسنة الله تبديلا

6–و بيـــــان أنواع المصـــــائب.

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: نِعْمَ العَـدْلان وَ نَعِمَتِ الْعِـلَاوَةُ

{أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِهِمْ وَرَحْمَةٌ} فَهَذَانَ الْعَدْلَانِ

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} فَهَذِهِ الْعِلَاوَةُ

وَ هِىَ مَا تُوضَعُ بَيْنَ الْعَدْلَيْنِ وَ هِىَ زِيَادَةٌ فِي الْحِمْلِ وَ كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ أُعْطُوا ثَوَابَهُمْ وَزِيدُوا أَيْضًا.

*مسلم (918) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:-

مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ:{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: 156]

اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا

قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟

أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ

قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ

فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا وَ أَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ» 157

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾

يخبر تعالى أن الصفا والمروة و هما معروفان

﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾أعلام دينه الظاهرة التي تعبد الله بها عباده و إذا كانا من شعائر الله فقد أمر الله بتعظيم شعائره

فقال: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32]

فدل مجموع النصيـــــن:-

1- أنهما من شعـــــائر الله 2-و أن تعظيم شعائره من تقـــــوى القلوب. و التقوى واجبة على كل مكلف

و ذلك يدل على أن السعي بهما فرض لازم للحج و العمرة كما عليه الجمهور و دلت عليه الأحاديث النبوية

و فعله النبي ﷺ فقد قال: « خذوا عني مناسككم »

﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾

-هذا دفع لوهم من توهم وتحرج من المسلمين عن الطواف بينهما لكونهما في الجاهلية تعبد عندهما الأصنام

فنفى تعالى الجناح لدفع هذا الوهم لا لأنه غير لازم.

-و دل تقييد نفي الجناح فيمن تطوف بهما في الحج والعمرة أنه لا يتطوع بالسعي مفردا إلا مع انضمامه لحج

أو عمرة بخلاف الطواف بالبيت فإنه يشرع مع العمرة والحج وهو عبادة مفردة.

-فأما السعي والوقوف بعرفة ومزدلفة ورمي الجمار فإنها تتبع النسك

فلو فعلت غير تابعة للنسك كانت بدعة لأن البدعة نوعان:-

1- نوع يتعبد لله بعبادة لم يشرعها أصلا 2- و نوع يتعبد له بعبادة قد شرعها على صفة مخصوصة

فتفعل على غير تلك الصفة وهذا منه.

﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾فعل طاعة مخلصا بها لله تعالى

فهو﴿خَيْرًا﴾له من حج و عمرة و طواف و صلاة و صوم و غير ذلك

فدل هذا على أنه كلما ازداد العبد من طاعة الله ازداد خيره و كماله و درجته عند الله لزيادة إيمانه.

و دل تقييد التطوع بالخير أن من تطوع بالبدع التي لم يشرعها الله و لا رسوله أنه :-

1-لا يحصل له إلا العناء2-و ليس بخير له3-بل قد يكون شرا له إن كان متعمدا عالما بعدم مشروعية العمل

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾يُثِيبُ عَلَى الْقَلِيلِ بِالْكَثِيرِ- الشاكر و الشكور من أسماء الله تعالى

1-الذي يقبل من عباده اليسير من العمل2-و يجازيهم عليه العظيم من الأجر الذي إذا قام عبده بأوامره

و امتثل طاعته:-*أعانه على ذلك *و أثنى عليه و مدحه* جازاه في قلبه نورا وإيمانا وسعة *في بدنه قوة و نشاطا *و في جميع أحواله زيادة بركة و نماء *و في أعماله زيادة توفيق.

و مع أنه (شاكر) فهو (عَلِيمٌ)بمن يستحق الثواب الكامل بحسب نيته و إيمانه و تقواه ممن ليس كذلك عليم بأعمال العباد فلا يضيعها

بل يجدونها أوفر ما كانت على حسب نياتهم التي اطلع عليها العليم الحكيم.

*الصحيح المسند من أسباب النزول:البخارى643-عن سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى(أخبريني عن مفهوم هذه الآية):-

{إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} [البقرة: 158]

فَوَاللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ جُنَاحٌ أَنْ لاَ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ

قَالَتْ: بِئْسَ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنَّ هَذِهِ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوَّلْتَهَا عَلَيْهِ(فسرتها عليه من الإباحة وأنه لا حرج في ترك السعي بينهما) كَانَتْ: لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لاَ يَتَطَوَّفَ بِهِمَا وَلَكِنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي الأَنْصَارِ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا يُهِلُّونَ(يحجون) لِمَنَاةَ الطَّاغِيَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ المُشَلَّلِ(=موضع قريب من الجحفة)فَكَانَ مَنْ أَهَلَّ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَ المَرْوَةِ (لوجود الصنمين عندهما وهما إساف ونائلة وكان من أهل لمناة لا يسعى بين الصفا والمروة)فَلَمَّا أَسْلَمُوا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺعَنْ ذَلِكَ

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

{إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} [البقرة: 158]قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:وَ قَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺالطَّوَافَ بَيْنَهُمَا فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا ثُمَّ أَخْبَرْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَعِلْمٌ مَا كُنْتُ سَمِعْتُهُ وَ لَقَدْ سَمِعْتُ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ يَذْكُرُونَ:

أَنَّ النَّاسَ - إِلَّا مَنْ ذَكَرَتْ عَائِشَةُ - مِمَّنْ كَانَ يُهِلُّ بِمَنَاةَ(الصنم الذي كانوا يذبحون عنده الذبائح) كَانُوا يَطُوفُونَ كُلُّهُمْ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ فَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ وَ لَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ فِي القُرْآنِ

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنَّا نَطُوفُ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ وَ إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ فَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا فَهَلْ عَلَيْنَا مِنْ حَرَجٍ أَنْ نَطَّوَّفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} [البقرة: 158]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «فَأَسْمَعُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي الفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا

1- فِي الَّذِينَ كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطُوفُوا بِالْجَاهِلِيَّةِ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ

2-وَ الَّذِينَ يَطُوفُونَ ثُمَّ تَحَرَّجُوا أَنْ يَطُوفُوا بِهِمَا فِي الإِسْلاَمِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ وَ لَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا ذَكَرَ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ»

*مسلم -1218........ ثُمَّ رَجَعَ (ﷺ)إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا

فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ} [البقرة: 158] «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ» 158

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا) علامات العبودية 159-167

هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب ومـــــا كتموا من شأن الرسولﷺو صفاته

فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله

(مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ)الدالات على الحق المظهرات له

(وَٱلۡهُدَىٰ)

هو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم و يتبين به طريق أهل النعيم من طريق أهل الجحيم

(مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ)

فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم بأن يبينوا الناس ما منّ الله به عليهم من علم الكتاب و لا يكتموه

-فمن نبذ ذلك و جمع بين المفسدتين:-

1- كـــتم ما أنزل الله 2- و الغـــش لعباد الله

(أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ)يبعـــدهم و يطـــردهم عن قربه و رحمتـــه.

(وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ)و هم جميع الخليقة فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة لسعيهم في غش الخلق

و فساد أديانهم و إبعادهم من رحمة الله فجوزوا من جنس عملهم

*كما أن معلم الناس الخير يصلي الله عليه وملائكته حتى الحوت في جوف الماء لسعيه في مصلحة الخلق

وإصلاح أديانهم و قربهم من رحمة الله فجوزي من جنس عمله

☼فالكـــاتم لما أنزل الله مضاد لأمر الله مشـــاق لله يبين الله الآيات للناس ويوضحها وهذا يطمسها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد.

*البخارى118-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:

إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَ لَوْلاَ آيَتَانِ (تحذران من كتمان العلم) فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا

ثُمَّ يَتْلُو {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى} [البقرة: 159] إِلَى قَوْلِهِ {الرَّحِيمُ} [البقرة: 160]

إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ (ضرب اليد على اليد والمراد التجارة وأطلق عليها لاعتيادهم فعله عند عقد البيع) بِالأَسْوَاقِ

وَ إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ (مزارعهم)

وَ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِهِ (يقنع بما يسد جوعه)

وَ يَحْضُرُ (يشاهد من أحواله ﷺ) مَا لاَ يَحْضُرُونَ وَ يَحْفَظُ مَا لاَ يَحْفَظُونَ 159

(إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ)رجعوا عما هم عليه من الذنوب ندما وإقلاعا وعزما على عدم المعاودة

(وَأَصۡلَحُواْ)ما فسد من أعمالهم فلا يكفي ترك القبيح حتى يحصل فعل الحسن.

(وَبَيَّنُواْ)و لا يكفى ذلك في الكاتم أيضا حتى يبين ما كتمه ويبدي ضد ما أخفى

(فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ)

فهذا يتوب الله عليه لأن توبة الله غير محجوب عنها فمن أتى بسبب التوبة تاب الله عليه

(وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ)لانه هو

(ٱلتَّوَّابُ)الرجاع على عباده بالعفو و الصفح بعد الذنب إذا تابوا و بالإحسان و النعم بعد المنع إذا رجعوا

(ٱلرَّحِيمُ)الذى اتصف بالرحمة العظيمة التي وسعت كل شئ و من رحمته أن وفقهم للتوبة و الإنابة

فتابوا و أنابوا ثم رحمهم بأن قبل ذلك منهم لطفا وكرما هذا حكم التائب من الذنب160

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ)

و أما من كفر واستمر على كفره حتى مات و لم يرجع إلى ربه و لم ينب إليه ولم يتب عن قريب

(أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ)لأنه لما صار كفرهم وصفا ثابتا صارت اللعنة عليهم وصفا

ثابتا لا تزول لأن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما161

و (خَٰلِدِينَ فِيهَا)فى اللعنة أو في العذاب والمعنيان .

(لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ)بل عذابهم دائم شديد مستمر-لا ينقص عما هم فيه

(وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ)يمهلون لأن وقت الإمهال وهو الدنيا قد مضى و لم يبق لهم عذر فيعتذرون162

(وَإِلَٰهُكُمۡ)يخبر تعالى—و هو أصدق القائلين—

أنه (إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ)متوحد منفرد في ذاته و أسمائه و صفاته و أفعاله فليس له شريك في ذاته و لا سمي له ولا كفو

له و لا مثل ولا نظير و لا خالق و لا مدبر غيره

(لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)فإذا كان كذلك فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة و لا يشرك به أحد من خلقه

لأنه(ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ)المتصف بالرحمة العظيمة التي لا يماثلها رحمة أحد فقد وسعت كل شيء و عمت كل حى

فبرحمته وُجدت المخلوقات

و برحمته حصلت لها أنواع الكمالات

و برحمته اندفع عنها كل نقمة

و برحمته عرّف عباده نفسه بصفاته و آلائه

و بيَّن لهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح دينهم و دنياهم بإرسال الرسل و إنزال الكتب163

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ
وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ
وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ
أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ
أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ
وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ
كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾
إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

ثم ذكر الأدلة التفصيلية(إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ)فى ارتفاعها واتساعها وإحكامها و إتقانها
و ما جعل الله فيها من الشمس و القمر و النجوم و تنظيمها لمصالح العباد.

(وَٱلْأَرْضِ)مهادا للخلق يمكنهم القرار عليها و الانتفاع بما عليها و الاعتبار.

ما يدل ذلك على :-

1-انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير((و الملك))2-و بيان قدرته العظيمة التي بها خلقها

3-و حكمته التي بها أتقنها و أحسنها و نظمها

4-و علمه و رحمته التي بها أودع ما أودع من منافع الخلق و مصالحهم و ضروراتهم و حاجاتهم.

5-و فى ذلك أبلغ الدليل على كماله

6-و استحقاقه أن يفرد بالعبادة لانفراده بالخلق والتدبير والقيام بشئون عباده

(وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ)هَذَا يَجِيءُ ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَخْلُفُهُ الْآخَرُ وَيَعْقُبُهُ لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ لَحْظَةً
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: 40]
وَ تَارَةً يَطُولُ هَذَا وَيَقْصُرُ هَذَا وَتَارَةً يَأْخُذُ هَذَا مِنْ هَذَا ثُمَّ يَتَقَارَضَانِ
يَزِيدُ مِنْ هَذَا فِي هَذَا وَ مِنْ هَذَا فِي هَذَا و هو تعاقبهما على الدوام إذا ذهب أحدهما خلفه الآخر
-و فى اختلافهما في الحر و البرد و التوسط و فى الطول و القصر و التوسط

-و ما ينشأ عن ذلك من الفصول التي بها انتظام مصالح بني آدم و حيواناتهم و جميع ما على وجه الأرض من أشجار و نوابت كل ذلك بانتظام و تدبير و تسخير تنبهر له العقول و تعجز عن إدراكه من الرجال الفحول

ما يـــــدل ذلك على:-

1-قـــــدرة مصرفها 2- و عــــلمه و حكمته 3- و رحـــــمته الواسعة 4- و لــــطفه الشامل

5-و تصـــــريفه و تـــــدبيره الذي تفرد به و عظمته 6- و عظمـــــة ملكه وسلطانه

مما يوجـــــب أن :-

1-يـــؤَله و يعبد 2- و يفـــــرد بالمحبة و التعـــــظيم و الخــــوف و الرجـــــاء

3-و بـــــذل الجهد في محابه و مراضيه.

(وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ)

و هى السفن و المراكب و نحوها مما ألهم الله عباده صنعتها وخلق لهم من الآلات الداخلية والخارجية ما أقدرهم عليها.

ثم سخر لها هذا البحر العظيم و الرياح التي تحملها بما فيها من الركاب و الأموال و البضائع

(بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ)التى هى من منافع الناس و بما تقوم به مصالحهم و تنتظم معايشهم.

(وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ)و هو المطر النازل من السحاب.

(فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا)

فأظهرت من أنواع الأقوات و أصناف النبات ما هو من ضرورات الخلائق التي لا يعيشون بدونها.

(وَبَثَّ فِيهَا)فى الأرض

(مِن كُلِّ دَآبَّةٖ)نشر في أقطار الأرض من الدواب المتنوعة ما هو دليل على قدرته وعظمته ووحدانيته وسلطانه العظيم وسخرها للناس ينتفعون بها بجميع وجوه الانتفاع.

1-فمنها:ما يأكلون من لحمه و يشربون من دره 2-و منها:ما يركبون

3-و منها:ما هو ساع في مصالحهم وحراستهم 4-و منها:ما يعتبر به

و مع أنه بث فيها من كل دابة فإنه سبحانه هو القائم بأرزاقهم المتكفل بأقواتهم فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كقوله{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [هُودٍ: 6]

و فى (وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ) بـاردة و حـــارة وجنـــوبا وشـــمالا وشـــرقا ودبـــورا و بيـــــن ذلـك

1-و تارة تثير السحاب 2-و تارة تـؤلف بينه 3-و تارة تلقحة 4-و تارة تدره

5–و تارة تمــــزقه و تزيل ضره 6–و تارة تكون رحمـــة 7–و تارة ترسل بالعـــــذاب.
فمن الذي صرفها هذا التصريف وأودع فيها من منافع العباد ما لا يستغنون عنه؟
و سخرها ليعيش فيها جميع الحيوانات و تصلح الأبدان والأشجار والحبوب و النوابت إلا العزيز الحكيم الرحيم اللطيف بعباده المستحق لكل ذل وخضوع ومحبة وإنابة وعبادة؟.
(وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ)و في تسخير السحاب
(بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ)على خفته و لطافته يحمل الماء الكثير فيسوقه الله إلى حيث شاء
فيحيي به البلاد و العباد و يروى التلول و الوهاد وينزله على الخلق وقت حاجتهم إليه
فإذا كان يضرهم كثرته أمسكه عنهم فينزله رحمة ولطفا ويصرفه عناية وعطفا فما أعظم سلطانه وأغزر إحسانه وألطف امتنانه أليس من القبيح بالعباد أن يتمتعوا برزقه ويعيشوا ببره وهم يستعينون بذلك على مساخطه ومعاصيه؟
أليس ذلك دليلا على حلمه و صبره و عفوه و صفحه و عميم لطفه؟
(لَأَيَٰتٍ)أدلة على وحدانية الباري و إلهيته و عظيم سلطانه و رحمته و سائر صفاته ولكنها
(لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)لمن لهم عقول يعملونها فيما خلقت له
و الحاصل أنه كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر و الحكمة عُلِمَ بذلـــــك:–
1– أنها خلقت للحق و بالحق 2–و أنها صحائف آيات و كتب دلالات على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدانيته وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر
3–و أنها مسخرات ليس لها تدبير و لا استعصاء على مدبرها و مصرفها.
4–فتعرف أن العالم العلوى و السفلى كلهم إليه مفتقرون و إليه صامدون و أنه الغني بالذات عن كل خلقه164
(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ)
دليل على أنه ليس لله ند و إنما المشركون جعلوا بعض المخلوقات أندادا له تسمية مجردة و لفظا فارغا من المعنى كما قال تعالى:(أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ)[الرعد:33]
*البخارى4497 -عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعودﷺ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺكَلِمَةً وَ قُلْتُ أُخْرَى
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»
وَ قُلْتُ أَنَا(استنتاجا مما قاله ﷺ): مَنْ مَاتَ وَهْوَ لاَ يَدْعُو لِلَّهِ نِدًّا دَخَلَ الْجَنَّةَ

(مِن دُونِ ٱللَّهِ)مع هذا البيان التام من يتخذ من المخلوقين

(أَندَادًا)لله أى: نظراء و مثلاء(يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ)يساويهم فى الله بالعبادة و المحبة و التعظيم و الطاعة.

ومن كان بهذه الحالة – بعد إقامة الحجة و بيان التوحيد –

عُلم أنه :-1-معاند لله 2-مشاق له3-أو معرض عن تدبر آياته و التفكر في مخلوقاته

فليس له أدنى عذر في ذلك بل قد حقت عليه كلمة العذاب.

-و هؤلاء الذين يتخذون الأنداد مع الله لا يسوونهم بالله في الخلق و الرزق و التدبير

و إنما يسوونهم به في العبادة فيعبدونهم ليقربوهم إليه

فلهذا مدح الله المؤمنين بقوله:(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ)من أهل الأنداد لأندادهم لأنهم أخلصوا محبتهم له

وهؤلاء أشركوا بها ولأنهم أحبوا من يستحق المحبة على الحقيقة الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته

وفوزه و المشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئا و محبته عين شقاء العبد و فساده و تشتت أمره.

فلهذا توعدهم الله بقوله: (وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ)

باتخاذ الأنداد والانقياد لغير رب العباد وظلموا الخلق بصدهم عن سبيل الله وسعيهم فيما يضرهم.

(إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ)يوم القيامة عيانا بأبصارهم

(أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ)لعلموا علما جازما أن القوة و القدرة (لِلَّهِ جَمِيعٗا)

و أن أندادهم ليس فيها من القوة شيء فتبين لهم في ذلك اليوم ضعفها و عجزها لا كما اشتبه عليهم في الدنيا

(وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ165)

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ كُفْرِهِمْ بِأَوْثَانِهِمْ وَ تَبَرُّؤِ الْمَتْبُوعِينَ مِنَ التَّابِعَيْنِ

(إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ) تبرأ المتبوعون من التابعين

-تَبَرَّأَتْ مِنْهُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ:

{تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} [الْقَصَص: 63]

وَ الْجِنُّ أَيْضًا تَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ وَ يَتَنَصَّلُونَ مِنْ عِبَادَتِهِمْ لَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا* كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} [مَرْيَمَ: 81 82]

و كذلك تتبرأ الشياطين وَ قَالَ تَعَالَى{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إِبْرَاهِيمَ: 22]

(وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ)

و تقطعت بينهم الوصل التي كانت في الدنيا((من القرابة و الاتِّباع و الدين و غير ذلك))

لأنها كانت لغير الله وعلى غير أمر الله ومتعلقة بالباطل الذي لا حقيقة له فاضمحلت أعمالهم166

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً)رجعة أو عودة

(فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ)و حينئذ يتمنى التابعون أن يردوا إلى الدنيا

فيتبــــــرأوا من متبوعيهم بأن يتـــــركوا الشـــــرك بالله و يقبـــــلوا على إخلاص العمل لله

و هيهات فات الأمر و ليس الوقت وقت إمهال و إنظار و مع هذا فهم كذبة فلو ردوا لعادوا لما نهوا عنه

(بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ)الأنعام: ٢٨

و إنما هو قول يقولونه و أمانى يتمنونها حنقا وغيظا على المتبوعين لما تبرأوا منهم

و الذنب ذنبهم فرأس المتبوعين على الشر إبليس و مع هذا يقول لأتباعه لما قضي الأمر

(وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ) [إبراهيم:22]

(كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ)

جمع حسرة و ه ى الندم الشديد الذى يكاد يحسر صاحبه فيقعد به عن الحركة والعمل

(عَلَيۡهِمۡ)كما أراهم الله تعالى العذاب فعاينوه يريهم أعمالهم القبيحة من الشرك و المعاصى

فَتَعْظُمْ حسرتهم و يشتد كربهم و يدخلون بها النار

(وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ)فلا يخرجونهم منها أبدا167

الحياة و العبادة 168-214

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ)

–هذا خطاب للناس كلهم مؤمنهم وكافرهم فامتن عليهم بأن أمرهم أن يأكلوا من جميع ما في الأرض من حبوب وثمار وفواكه وحيوانات حالة كونها

(حَلَٰلٗا)مُسْتَطَابًا فِي نَفْسِهِ غَيْرَ ضَارٍّ لِلْأَبْدَانِ وَ لَا لِلْعُقُولِ

أي: محللا لكم تناوله ليس بغصب و لا سرقة و لا محصلا بمعاملة محرمة أو على وجه محرم أو معينا على محرم.

(طَيِّبٗا)ليس بخبيث كالميتــــــة والدم ولحــــــم الخنزير والخبــــــائث كلها

ففي هذه الآية دليل على أن الأصل في الأعيان الإباحة أكلا وانتفاعا

و أن المحـــــرم نوعـــــان:–

1– إما محرم لذاته وهو الخبيث الذي هو ضد الطيب

2-و إما محرم لما عرض له وهو المحرم لتعلق حق الله أو حق عباده به وهو ضد الحلال.

و فيه دليل على أن الأكل بقدر ما يقيم البنية واجب يأثم تاركه لظاهر الأمر

و لما أمرهم باتباع ما أمرهم به -إذ هو عين صلاحهم - نهاهم عن اتباع الشيطان

(وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ)نزغات الشيطان-خطـــاه-كل معصيـــة لله فهى من خطوات الشيطان

أي: طرقه التي يأمر بها و هي جميع المعاصي من كفر و فسوق و ظلم

و يدخل في ذلك تحريم السوائب و الحام و الوصائل و نحو ذلك

-و يدخل فيه أيضا تناول المأكولات المحرمة مما زيّنه لهم في جاهليتهم

كما فى مسلم(2865) عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ
قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ:-أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِى هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا
حَلَالٌ وَ إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَ إِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ
وَ حَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَ أَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا

(إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)ظاهر العداوة فلا يريد بأمركم إلا غشكم و أن تكونوا من أصحاب السعير

فلم يكتف ربنا بنهينا عن اتباع خطواته حتى أخبرنا بعداوته الداعية للحذر منه168

ثم لم يكتف بذلك حتى أخبرنا بتفصيل ما يأمر به وأنه أقبح الأشياء وأعظمها مفسدة فقال:

(إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ)الشر الذي يسوء صاحبه فيدخل في ذلك جميع المعاصى

فيكون قوله:(وَٱلْفَحْشَآءِ)من باب عطف الخاص على العام لأن الفحشاء من المعاصى ما تناهى قبحه

كالـــزنا و شـــرب الخمر و القتـــل و القـــذف و البخـــل و نحو ذلك مما يستفحشه من له عقل

(وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

و أغلظ من ذلك القول علي الله بلا علم فيدخل في هذا كل كافر و كل مبتدع أيضا

فيدخل في ذلك القول على الله بلا علم في شرعه و قدره :-

☼فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله

☼أو نفى عنه ما أثبته لنفسه

☼أو أثبت له ما نفاه عن نفسه فقد قال على الله بلا علم

☼و من زعم أن لله ندا وأوثانا تقرب من عبدها من الله فقد قال على الله بلا علم

☼و من قال:إن الله أحل كذا أو حرم كذا أو أمر بكذا أو نهى عن كذا بغير بصيرة فقد قال على الله بلا علم

☼و من قال:الله خلق هذا الصنف من المخلوقات للعلة الفلانية بلا برهان له بذلك فقد قال على الله بلا علم

☼و من أعظم القول على الله بلا علم أن يتأول المتأول كلامه أو كلام رسوله على معان اصطلح عليها طائفة من طوائف الضلال ثم يقول:إن الله أرادها فالقول على الله بلا علم

من أكبر المحرمات و أشملها و أكبر طرق الشيطان التي يدعو إليها

❍فهذه طرق الشيطان التي يدعو إليها هو و جنوده و يبذلون مكرهم و خداعهم على إغواء الخلق بما يقدرون

❍و أما الله تعالى فإنه يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغي 169

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ
صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ
إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ
وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟)ثم أخبر تعالى عن حال المشركين إذا أمروا باتباع

(مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ)على رسوله – مما تقدم وصفه – رغبوا عن ذلك:

(قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا)وجدنا(عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ)فاكتفوا بتقليد الآباء و زهـــــدوا في الإيمان بالأنبياء

(أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ)الَّذِينَ يَقْتَدُون بِهِمْ وَ يَقْتَفُونَ أَثَرَهُمْ

{لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ }لَيْسَ لَهُمْ فَهْمٌ وَ لَا هِدَايَةٌ!170

(وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟)فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْغَيِّ وَ الضَّلَالِ وَ الْجَهْلِ

(كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ)(يظن بعض الناس أن الله شبه الكفار بالراعي (الناعق للغنم)
الصواب:أن الله شبه الكفار بالبهائم المنعوق بها و المعنى أن الكفار كالبهائم التي تسمع أصواتا لا تدرى معناها

(صُمٌّۢ) صما لا يسمعون الحق سماع فهـــــم و قبــــول

(بُكْمٌ)فلا ينطـــــقون بما فيه خير لهم

(عُمْىٌ)عميا لا ينظرون نظر اعتبار و السبب الموجب لذلك كله أنه ليس لهم عقل صحيح

(فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)و لا يفهمونه171

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ)

*مسلم(1015)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ:-قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-
أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَ إِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ:-
{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51]
وَ قَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: 172]
ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَ مَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَ مَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَ غُذِىَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟

*فالشكر في هذه الآية هو العمل الصالح و هنا لم يقل « حلالا »

1-لأن المؤمن أباح الله له الطيبات من الرزق خالصة من التبعة2-و لأن إيمانه يحجزه عن تناول ما ليس له.

(إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)

فاشكروه فدل على أن من لم يشكر الله لم يعبده وحده كما أن من شكره فقد عبده و أتى بما أُمِرَ به

-و يدل أيضا على أن أكل الطيب (((سبب للعمل الصالح وقبـــــوله)))

-و الأمـر بالشكر عقيب النعم:-1-لأن الشكر يحفظ النعم الموجودة 2-و يجلب النعم المفقودة

*كما أن الكفـر:-1-ينفـــــر النعم المفقودة2- و يـــــزيل النعم الموجودة172

و لما ذكر تعالى إباحة الطيبات ذكر تحريم الخبائث فقال(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ)

و هى:ما مات بغير تذكية شرعية لأن الميتة خبيثة مضرة لرداءتها في نفسها
*الميتة يفقد لحمها كل قيمة لأن إنزيمات التحلل تبدأ عملها في الخلايا فتفقدها كل قيمة غذائية
*لقد ثبت علميا وبشكل مؤكد أن جسم الميتة في الحيوانات يحتبس فيه الدم وسمومه
و قد يتخلل جميع الأنسجة اللحمية و تبدأ السموم عملها في كل خلايا الجسـم فتكتسب الميتة اللون الداكن و تمتلئ الأوردة السطحية بالدماء و تتوقف الدورة الدموية دون أن يتسرب حتى و لو قدر ضئيل من تلك الدمـاء إلى خارج الجسم وتصبح بذلك الميتة كلها بؤرة فاسدة للأمراض ومجمعا خبيثا للميكروبات و يبدأ التعفن فى عمله فيهـا و يعم أثره في اللحم لونا و طعما و رائحة
*و استثنى الشارع من هذا العموم ميتة الجراد و سمك البحر فإنه حلال طيب.

(وَالدَّمَ)أى:المسفوح كما قيد في الآية الأخرى
*الدم يحمل إفرازات الجسم الضارة في جسم الحيوان كى يتخلص منها مع البول أو العرق أو البراز.
فإذا كان الحيوان مريضا فإن الميكـروبات تتكاثر عادة في دمه لأنها تستعمله كوسيلة للانتقال من عضو إلى آخر كما أن إفرازات الميكروب وسمياته تنتقل عن طريق الدم أيضا و هنا يكمن الخطر..
لأنه إذا شرب الإنسـان الدم فستنتقل إليه كل هذه الميكروبات وإفرازاتها وتتسبـب في أمراض كثيرة مثل ارتفاع البولينا في الدم مما يهدد بحدوث فشل كلوي أو ارتفاع نسبة الأمونيا في الدم و حدوث غيبوبة كبدية..و كثير من الجراثيم التي يحملها الدم تحدث في المعدة والأمعاء تهيجا في الأغشية مما يسبب أمراضا كثيرة لكل هذه الأسباب حتم الإسلام الذبح الشرعى الذي يقتضي تصفية دم الحيوان بعد ذبحه

و كذا حرم الله شرب الدم أو دخوله بأي شكل من الأشكال إلى الغذاء الآدمي و هذا قبل أن يخترع الميكرسكوب وقبل أن يعرف الإنسـان أي شئ عن الجراثيم والميكروبات

(وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ)
*حيوان سبعى له أنياب يأكل الجيف والفئران
*كثرة وجود حمض البوليك فى دم و لحم الخنزير دليل على نجاسته
*عدم وجود انزيمى Uricase & Xanthin oxidase فى بلازما الخنزير وقلة وجوده فى الكليتين يجعله يحتفظ بكمية كبيرة من حمض البوليك فى أنسجته فالخنزير يتخلص من 2% فقط من هذا الحمض والباقى يختزن فى جسده وهذا عكس الأنعام فهى تتخلص من حمض البوليك بكميات كبيرة لوجود (Xanthin oxidase) فى بلازما الأبقار و هو يقوم بتكسير حمض البوليك إلى آلنتوين Allantoin والذى يفرز فى بول الأبقار بكميات عالية جدا وبالتالى تتخلص الأبقار منه عن طريق البول وينقى الدم منه وبالتالى اللحم فيكون لحم الأبقار طاهرا طيبا
*كما يوجد فى بلازما الأغنام انزيم اليوريكاز (Uricase) والذى يقوم بتكسير حمض البوليك و تتخلص الأغنام منه عن طريق الكليتين مما يجعل لحم الأغنام أيضا طاهرا طيبا
* الخنزير بطبعه الخبيث يأكل روثه المختلط ببوله وما به أيضا من حمض البوليك يجعل تراكم هذا الحمض فى لحمه بكميات كبيرة تضر بصحة الإنسان
*نسبة الكوليسترول فى لحم الخنزير خمسة عشر ضعفاً لما فى البقر و لهذه الحقيقة أهمية خطيرة :-
لأن هذه الدهنيات تزيد مادة الكوليسترول فى دم الإنسان و هذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعى تترسب فى الشرايين و لاسيما شرايين القلب و تسبب تصلب الشرايين و ارتفاع الضغط
و هو السبب الرئيسى فى معظم حالات الذبحة القلبية.
*الخنزير يحتوى على 50% من لحمه دهنيات و هذه الدهنيات منها 38% دهون مشبعة تراى جلسريد ولا يستطيع الإنسان هضمها بينما الأبقار تحتوى على 6% فقط من الدهون وهى سهلة الهضم والأغنام تحتوى على 17% دهون أيضا سهلة الهضم وهذا يدل أيضا على الضرر المحقق من تناول لحم لخنزير
* أن لحم الخنزير يحتوى على كميات كبيرة من الكبريت على عكس الأنعام وهذه علة أخرى ذاتية لتحريم لحم الخنزير
*أن لحم الخنزير يحتوى على كميات كبيرة من الهستامين و الإميدازول المسبب للحساسية و اكزيما الجلد لمن يأكله بينما لحم الأنعام لا تحتوى على هذا الهرمون
باقى الاضرار طالعها من خلال هذا الرابط رابط الاعجاز العلمى

(وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ)ذبح لغير الله كالذي يذبح للأصنام و الأوثان من الأحجار و القبور و نحوها

(فَمَنِ ٱضْطُرَّ)ألجئ إلى المحرم بجوع و عدم أو إكراه

(غَيْرَ بَاغٍ)غير طالب للمحرم مع قدرته على الحلال أو مع عدم جوعه

(وَلَا عَادٍ)متجاوز الحد في تناول ما أبيح له اضطرارا

فمن اضطر وهو غير قادر على الحلال وأكل بقدر الضرورة فلا يزيد عليها

(فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ)فلا جناح عليه و إذا ارتفع الجناح الإثم رجع الأمر إلى ما كان عليه

و الإنسان بهذه الحالة مأمور بالأكل بل منهى أن يلقي بيده إلى التهلكة و أن يقتل نفسه.

فيجب إذًا عليه الأكل و يأثم إن ترك الأكل حتى مات فيكون قاتلا لنفسه.

و هذه الإباحة و التوسعة من رحمته تعالى بعباده

فلهذا ختمها بهذين الاسمين الكريمين المناسبين غاية المناسبة فقال:(إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ)

و لما كان الحل مشروطا بهذين الشرطين و كان الإنسان في هذه الحالة ربما لا يستقصى تمام الاستقصاء فى تحقيقها أخبر أنه غفور فيغفر ما أخطأ فيه في هذه الحال خصوصا و قد غلبته الضرورة و أذهبت حواسه المشقة173

*و فى هذه الآية دليل على القاعدة المشهورة:« الضرورات تبيح المحظورات »

فكل محظور اضطر إليه الإنسان فقد أباحه له الملك الرحمن.

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ)

هذا وعيد شديد لمن كتم ما أنزل الله على رسله من العلم الذي أخذ الله الميثاق على أهله أن يبينوه للناس ولا يكتموه

(وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ)

فمن تعوض عنه بالحطام الدنيوي ونبذ أمر الله فأولئك:

(مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ)

لأن هذا الثمن الذي اكتسبوه إنما حصل لهم بأقبح المكاسب

وأعظم المحرمات فكان جزاؤهم من جنس عملهم

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا) [النساء:10]

(وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ)بل قد سخط عليهم وأعرض عنهم فهذا أعظم عليهم من عذاب النار

(وَلَا يُزَكِّيهِمۡ)أَيْ يُثْنِـي عَلَيْهِمْ وَيَمْدَحُهُمْ-لا يطهرهم من الأخـــــلاق الرذيلة

و ليس لهم أعمال تصلح للمدح و الرضا و الجزاء عليها

و إنما لم يزكهم لأنهم فعلوا أسباب عدم التزكية التي أعظم أسبابها العمل بكتاب الله والاهتداء به والدعوة إليه

(وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ)بَلْ يُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا174

(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ)فهؤلاء نبذوا كتاب الله و أعرضوا عنه و اختاروا الضلالة على الهدى

(وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ)العذاب على المغفرة–اعْتَاضُوا عَنِ الْمَغْفِرَةِ بِالْعَذَابِ وَهُوَ مَا تعاطَوْه مِنْ أَسْبَابِهِ

(فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ)يُخْبِرُ تَعَالَى أنَّهم فِي عَذَابٍ شَدِيدٍ عَظِيمٍ هَائِلٍ يتعجَّبُ مَنْ رَآهُمْ فِيهَا مِنْ صَبْرِهِمْ عَلَى ذَلِكَ مَعَ شِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَ النَّكَالِ وَ الْأَغْلَالِ عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.
*مَا أَدْوَمَهُمْ لِعَمَلِ الْمَعَاصِي التِي تُفْضِي بِهِمْ إِلَى النَّارِ

–فهؤلاء لا يصلح لهم إلا النار فكيف يصبرون عليها و أنى لهم الجلد عليها؟175

(ذَٰلِكَ)المذكور وهو مجازاته بالعدل ومنعـه أسباب الهداية ممن أباها واختار سواها.

(بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ)إِنَّمَا اسْتَحَقُّوا هَذَا الْعَذَابَ الشَّدِيدَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى:-

أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺوَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ كُتُبَهُ بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ وَإِبْطَالِ الْبَاطِلِ
وَهَؤُلَاءِ اتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا فَكِتَابُهُمْ يَأْمُرُهُمْ بِإِظْهَارِ الْعِلْمِ وَنَشْرِهِ فَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ
وَ هَذَا الرَّسُولُ الْخَاتَمُ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى-و من الحق مجازاة المحسن بإحسانه و المسيء بإساءته.

فى الاية ما يدل على أن الله أنزله لهداية خلقه و تبيين الحق من الباطل و الهدى من الضلال

فمن صرفه عن مقصوده فهو حقيق بأن يجازى بأعظم العقوبة.

(وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ)أى:و إن الذين اختلفوا في الكتاب فآمنوا ببعضه و كفروا ببعضه

و الذين حـــرفوه و صرفوه على أهوائهم و مراداتهم

(لَفِي شِقَاقِۭ)أي: محادة(بَعِيدٖ)

عن الحق لأنهم قد خالفوا الكتاب الذي جاء بالحق الموجب للاتفاق و عدم التناقض176

۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ
وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ
وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ
فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ
فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِۖ
حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

(لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ) ليس هذا هو البر المقصود من العباد فيكون كثرة البحث فيه والجدال من العناء الذي ليس تحته إلا الشقاق و الخلاف

*كقوله (لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ) الحج: ٣٧

وَ قَالَ الثَّوْرِيُّ: {وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ} قَالَ: هَذِهِ أَنْوَاعُ الْبِرِّ كُلُّهَا.

وَ صَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَإِنَّ مَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الْآيَةِ فَقَدْ دَخَلَ فِي عُرَى الْإِسْلَامِ كُلِّهَا وَ أَخَذَ بِمَجَامِعِ الْخَيْرِ كُلِّهِ

1-وَ هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَ هُوَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

2-وَ صَدَّقَ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ سَفَرَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ

3-{وَالْكِتَابِ}وَ هُوَ اسْمُ جِنْسٍ يَشْمَلُ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى خُتِمَتْ بِأَشْرَفِهَا
وَ هُوَ الْقُرْآنُ الْمُهَيْمِنُ عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ الذِي انْتَهَى إِلَيْهِ كُلُّ خَيْرٍ
وَ اشْتَمَلَ عَلَى كُلِّ سَعَادَةٍ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ نَسَخَ اللَّهُ بِهِ كُلَّ مَا سِوَاهُ مِنَ الْكُتُبِ قَبْلَهُ

4-وَ آمَنَ بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ كُلِّهِمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى خَاتَمِهِمْ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

(وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ)بأنه إله واحد موصوف بكل صفة كمال منزه عن كل نقص.

(وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ)و هو كل ما أخبر الله به في كتابه أو أخبر به الرسول مما يكون بعد الموت.

(وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ)الذين وصفهم الله لنا في كتابه و وصفهم رسوله ﷺ

(وَٱلْكِتَٰبِ)جنس الكتب التي أنزلها الله على رسوله و أعظمها القرآن فيؤمن بما تضمنه من الأخبار والأحكام

(وَٱلنَّبِيِّـۧنَ)عموما خصوصا خاتمهم و أفضلهم محمد ﷺ.

(وَءَاتَى ٱلۡمَالَ)و هو كل ما يتموله الإنسان من مال قليلا كان أو كثيرا أى: أعطى المال

(عَلَىٰ حُبِّهِۦ)حب المال بيَّن به أن المال محبوب للنفوس فلا يكاد يخرجه العبد فمن أخرجه مع حبه له تقربا إلى الله تعالى كان هذا برهانا لإيمانه

*البخارى1419-عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺفَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟
قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ
1-وَ أَنْتَ صَحِيحٌ 2-شَحِيحٌ3-تَخْشَى الفَقْرَ4-وَ تَأْمُلُ الغِنَى5-وَ لاَ تُمْهِـــــــلُ
حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا(أخذت توصى و تتصدق)
وَ لِفُلاَنٍ كَذَا وَ قَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ(وقد أصبح مالك ملكا لغيرك و هم ورثتك)»

*كذلك إذا كانت الصدقة عن قلة كانت أفضل لأنه في هذه الحال يحب إمساكه لما يتوهمه من العدم و الفقر

✡كذلك إخراج النفيس من المال كقوله(لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ)آل عمران: ٩٢

(ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ)

*الترمذى 658قال النبى ﷺالصَّدَقَةُ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ وَ هِىَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ:-صَدَقَةٌ وَ صِلَةٌ

(وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ)

هم الَّذِينَ لَا كَاسِبَ لَهُمْ وَ قَدْ مَاتَ آبَاؤُهُمْ وَ هُمْ ضُعَفَاءُ صِغَارٌ دُونَ الْبُلُوغِ وَ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّكَسُّبِ

(وَٱلۡمَسَـٰكِينَ)الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَكْفِيهِمْ فِي قُوتِهِمْ وَ كِسْوَتِهِمْ وَ سُكْنَاهُمْ فَيُعْطُونَ مَا تُسَدُّ بِهِ حَاجَتُهُمْ

*البخارى479 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ:-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:-
«لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَ اللُّقْمَتَانِ وَ التَّمْرَةُ وَ التَّمْرَتَانِ
وَ لَكِنِ المِسْكِينُ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَ لاَيُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَ لاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ»

(وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ)الْمُسَافِرُ الْمُجْتَازُ الذِي قَدْ فَرَغَتْ نَفَقَتُهُ فَيُعْطَى مَا يُوصِلُهُ إِلَى بَلَدِهِ
وَ كَذَا الذِي يُرِيدُ سَفَرًا فِي طَاعَةٍ فَيُعْطَى مَا يَكْفِيهِ فِي ذَهَابِهِ وَ إِيَابِهِ وَ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الضَّيْفُ

(وَٱلسَّآئِلِينَ)الذين تعرض لهم حاجة من الحوائج توجب السؤال كمن:-

1–ابتلى بأرش(دِيَةُ الْجِرَاحَاتِ) جناية 2–أو ضريبة عليه من ولاة الأمور أو 3–يسأل الناس لتعمير المصالح العامة كالمساجد و المدارس و القناطر و نحو ذلك فهذا له حق و إن كان غنيا

(وَفِي ٱلرِّقَابِ)فيدخل فيه العتـــــق و الإعانة عليه – و بذل مال للمكـــــاتب ليوفي سيده
–و فـــــداء الأسرى عند الكفـــــار أو عند الظلمـــــة.

(وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ)

قد تقدم مرارا أن الله تعالى يقرن بين الصلاة و الزكاة لكونهما أفضل العبادات و أكمل القربات عبـــــادات:-

((قلبيـــــة و بدنيـــــة و ماليـــــة)) و بهما يوزن الإيمان و يعرف ما مع صاحبه من الإيقان.

(وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ)العهـــــد:-هو الالتـــــزام بإلزام الله أو إلـــــزام العبد لنفسه

*البخارى33-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ:-

إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَ إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَ إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ (وَ إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)البخارى 34

و فدخل في ذلك:-

1-حقوق الله كلها لكون الله ألزم بها عباده و التزموها و دخلوا تحت عهدتها و وجب عليهم أداؤها

و حقوق العباد التي أوجبها الله عليهم

2-و الحقوق التي التزمها العبـــــد كالأيمان والنذور ونحو ذلك.

(وَٱلصَّٰبِرِينَ)إِنَّمَا نُصِبَتْ عَلَى الْمَدْحِ وَ الْحَثِّ عَلَى الصَّبْرِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ لِشِدَّتِهِ وَ صُعُوبَتِهِ

(فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ)الفقـر لأن الفقير يحتاج إلى الصبر من وجوه كثيرة لكونه يحصل له مـــــن:-

الآلام القلبية و البـدنية المستمرة ما لا يحصل لغيره.

فإن تنعم الأغنياء بما لا يقدر عليه تألم-و إن جاع أو جاعت عياله تألم.........

فكل هذه و نحوها مصائب يؤمر بالصبر عليها و الاحتساب و رجاء الثواب من الله عليها.

(وَٱلضَّرَّآءِ)المرض على اختلاف أنواعه من حمى و قروح و رياح و وجع عضو حتى الضرس و الإصبع ....

فإنه يحتاج إلى الصبر على ذلك((لأن النفس تضعف و البدن يـألم))

و ذلك في غاية المشقة على النفوس خصوصا مع تطاول ذلك فإنه يؤمر بالصبر احتسابا لثواب الله تعالى.

(وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ)وقت القتال للأعداء المأمور بقتالهم لأن الجلاد يشق غاية المشقة على النفس

و يجزع الإنسان من القتل أو الجـــــراح أو الأســـــر فاحتيج إلى الصبر في ذلك احتسابا

و رجاء لثواب الله تعالى الذي منه النصر و المعونة التي وعدها الصابرين.

(أُوْلَٰٓئِكَ)المتصفون بما ذكر من العقائد الحسنة و الأعمال التي هي آثار الإيمان و برهانه و نوره

و الأخلاق التي هي جمال الإنسان و حقيقة الإنسانية

فأولئك هم(ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ)في إيمانهم لأن أعمالهم صدَّقت إيمانهم

(وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ)لأنهم((تـــــركوا المحظور وفعلـــــوا المأمور))

لأن هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير تضمنا و لـــزوما لأن الوفاء بالعهد يدخل فيه الدين كله

و لأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآية أكبر العبادات

و من قام بها كان بما سواها أقوم فهؤلاء هم الأبرار الصادقون المتقون177

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ)يمتن تعالى على عباده المؤمنين بأنه فرض عليهم

(ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ)المساواة فيه

و أن يقتل القاتل على الصفة التي قتل عليها المقتول إقامة للعدل و القسط بين العباد.

و توجيه الخطاب لعموم المؤمنين فيه دليل على أنه:-

1-يجب عليهم كلهم حتى أولياء القاتل حتى القاتل بنفسه إعانة ولي المقتول إذا طلب القصاص وتمكينه من القاتل

2-و أنه لا يجوز لهم أن يحولوا بين هذا الحد و يمنعوا الولي من الاقتصاص كما عليه عادة الجاهلية

و من أشبههم من ((إيواء المحدثين)).

ثم بيَّن تفصيل ذلك فقال:-(ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ)يدخل بمنطوقها الذكر بالذكر

(وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ)و الأنثى بالذكر و الذكر بالأنثى فيكون منطوقها مقدما على مفهوم قوله:

« الأنثى بالأنثى » مع دلالة السنة على أن الذكر يقتل بالأنثى

*و خرج من عموم هذا الأبـــــوان و إن علوا فلا يقتلان بالولد لورود السنة بذلك

مع أن في قوله: (الْقِصَاصُ) ما يدل على أنه ليس من العدل أن يقتل الوالد بولده

و لأن في قلب الوالد من الشفقة و الرحمة ما يمنعه من القتل لولده إلا بسبب:-

1-اختـــــلال في عقله 2- أو أذيــــــة شديدة جدا من الولد له.

Oوخرج من العموم أيضا الكافر بالسنة مع أن الآية في خطاب المؤمنين خاصة.

*البخارى11 -عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ ﷺقَالَ: قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍﷺ:
هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ؟ قَالَ:-لاَ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ.
قَالَ: قُلْتُ: فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: العَقْلُ(الدية) وَ فَكَاكُ الأَسِيرِ وَ لاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ "
مَسْأَلَةٌ:وَ مَذْهَبُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَ الْجُمْهُورِ أَنَّ الْجَمَاعَةَ يُقْتَلُونَ بِالْوَاحِدِ

*أيضا فليس من العدل أن يقتل ولى الله بعدوه و العبد بالعبد ذكرا كان أو أنثى تساوت قيمتهما أو اختلفت

*دل بمفهومها على أن الحر لا يقتل بالعبد لكونه غير مساو له

و الأنثى بالأنثى أخذ بمفهومها بعض أهل العلم فلم يجز قتل الرجل بالمرأة و تقدم وجه ذلك.

و فى هذه الآية دليل على أن الأصل :-

1-وجوب القود(1) في القتل 2- و أن الدية بدل عنه فلهذا قال:(فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ)

معجم اللغة العربية المعاصرة :قَوَد [مفرد]: قِصاصٌ و قتل القاتل بدل القتيل "طلب القَوَدَ من القاتل-

دليل على أن القاتل لا يكفر لأن المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان فلم يخرج بالقتل منها

و من باب أولى أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر لا يكفر بها فاعلها و إنما ينقص بذلك إيمانه.

و إذا عفا أولياء المقتول أو عفا بعضهم احتقن دم القاتل و صار معصوما منهم و من غيرهم

(شَيْءٌ)

عفا ولي المقتول عن القاتل إلى الدية أو عفا بعض الأولياء فإنه يسقط القصاص و تجب الدية

و تكون الخيـــــرة في القـــــود و اختيــــــار الدية إلى الولي.

فإذا عفا عنه وجب على الولي أي: ولي المقتول أن يتبع القاتل

فائدة:-و فيه ترقيق و حث على العفو إلى الدية و أحسن من ذلك العفو مجانا.

(ف)عَلَى الطَّالِبِ (فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ)إذَا قَبِل الدِّيَةَ

من غير أن يشق عليه و لا يحمله ما لا يطيق بل يحسن الاقتضاء و الطلب و لا يحرجه.

(و)على القاتل (وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ)من غير مطـــــل ولا نقــــص و لا إســــاءة فعليــــة أو قـــولية

فهل جزاء الإحسان إليه بالعفو إلا الإحسان بحسن القضاء

و هذا مأمور به في كل ما ثبت في ذمم الناس للإنسان

مأمور من له الحق بالاتباع بالمعروف و من عليه الحق بالأداء بإحسان .

(ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ)

إنَّمَا شَرَعَ لَكُمْ أَخْذَ الدِّيَةِ فِي الْعَمْدِ تَخْفِيفًا مِنَ اللهِ عَلَيْكُمْ

(وَرَحْمَةٌ)بِكُمْ مِمَّا كَانَ مَحْتُومًا عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ أَوِ الْعَفْوِ

*رَحِمَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَ أَطْعَمَهُمُ الدِّيَةَ وَ لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَهُمْ

✡فَكَانَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ إِنَّمَا هُوَ الْقِصَاصُ وَ عَفْوٌ لَيْسَ بَيْنَهُمْ أَرْشٌ

✡وَ كَانَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ إِنَّمَا هُوَ عَفْوٌ أُمِرُوا بِهِ وَ جَعَلَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْقِصَاصَ وَ الْعَفْوَ وَ الْأَرْشَ.

(فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ)فَمَنْ قَتَلَ بَعْدَ أَخْذِ الدِّيَةِ أَوْ قَبُولِهَا – أي :بعد العفو

(فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

في الآخرة و أما قتله و عدمه فيؤخذ مما تقدم لأنه قتل مكافئا له فيجب قتله بذلك.

و أمـــــا مــــــن فســــــر العــــــذاب الأليـــــم بالقتــــــل-

1-فإن الآية تدل على أنه يتعين قتله 2-و لا يجوز العفو عنه و بذلك قال بعض العلماء و الصحيح الأول

لم يعد القَوَد من مهمّات أقارب القتيل بل هو أمرٌ يحكم به القضاء".

((لأن جنايته لا تزيد على جناية غيره))178

ثم بين تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصاص فقال:-(وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ)

1- تنـــــحقن بذلك الدماء 2- و تنقمـــــع به الأشقياء

لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل لا يكاد يصدر منه القتل و إذا رئِيَ القاتل مقتولا انذعر بذلك غيره و انزجر

فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل لم يحصل انكفاف الشر الذي يحصل بالقتل

و هكذا سائر الحدود الشرعية فيها من النكاية والانزجار ما يدل على حكمة الحكيم الغفار

*و نكَّر « الحياة » لإفادة التعظيـــــم و التكثيـــــر.

*و لما كان هذا الحكم لا يعرف حقيقته((إلا أهل العقول الكاملة و الألباب الثقيلة))خصهم بالخطاب دون غيرهم

و هذا يدل على أن الله تعالى يحب من عباده أن يُعملوا أفكارهم و عقولهم فى تدبر:-

1-ما فى أحكامه من الحكم2-و المصالح الدالة على كماله و كمال حكمته و حمده وعدله ورحمته الواسعة

(يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ)أن من كان بهذه المثابة فقد استحق المدح بأنه من ذوى الألباب

(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

و ذلك أن من عرف ربه و عرف ما في دينه و شرعه من الأسرار العظيمة و الحكم البديعة والآيات الرفيعة

أوجب له ذلك أن :-1-ينقـــــاد لأمر الله2-و يعظم معاصيه فيتركها فيستحق بذلك أن يكون من المتقين.

التقوى:اسم جامع لفعل الطـــــاعات و ترك المنـــــكرات179

(كُتِبَ)فرض الله (عَلَيْكُمْ)يا معشر المؤمنين

(إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ)أسبابه كالمرض المشرف على الهلاك و حضور أسباب المهالك

(إِن تَرَكَ خَيْرًا)مالا و هو المال الكثير عرفا

(ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ)

فعليه أن يوصي لوالديه و أقرب الناس إليه بالمعروف على قدر حاله من غير سرف و لا اقتصار على الأبعد دون الأقرب بل يرتبهم على القرب و الحاجة و لهذا أتى فيه بأفعل التفضيل.

*البخارى3936 - عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:عَادَنِي النَّبِيُّ ﷺعَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ مَرَضٍ أَشْفَيْتُ(أشرفت من الوجع)مِنْهُ عَلَى المَوْتِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ مَا تَرَى وَأَنَا ذُو مَالٍ وَ لاَ يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «لاَ» قَالَ: فَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟ قَالَ: «الثُّلُثُ يَا سَعْدُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ وَلَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا آجَرَكَ اللَّهُ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»

(حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ)دل على وجوب ذلك لأن الحق هو: الثابت و قد جعله الله من موجبات التقوى.

✡و اعلم أن جمهور المفسرين يرون أن هذه الآية منسوخة بآية المواريث

✡و بعضهم يرى أنها في الوالدين و الأقربين غير الوارثين مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل

و الأحســــــن في هذا أن يقــــــال:

❍إن هذه الوصية للوالدين و الأقربين مجملة ردها الله تعالى إلى العرف الجارى.

❍ثم إن الله تعالى قدر للوالدين الوارثين و غيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في آيات المواريث بعد أن كان مجملا و بقى الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث و غيرهما ممن حجب بشخص أو وصف

فإن الإنسان مأمور بالوصية لهؤلاء و هم أحق الناس ببره

و هذا القول تتفق عليه الأمة ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين لأن كلا من القائلين بهما كل منهم لحظ ملحظا واختلف المورد. فبهذا الجمع يحصل الاتفاق والجمع بين الآيات لأنه مهما أمكن الجمع كان أحسن من ادعاء النسخ الذي لم يدل عليه دليل صحيح.

*بَقِيَ الْأَقَارِبُ الَّذِينَ لَا مِيرَاثَ لَهُمْ يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يُوصَى لَهُمْ مِنَ الثُّلُثِ اسْتِئْنَاسًا بِآيَةِ الْوَصِيَّةِ وَ شُمُولِهَا وَ الْآيَاتُ وَ الْأَحَادِيثُ بِالْأَمْرِ بِبَرِّ الْأَقَارِبِ وَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ كَثِيرَةٌ جِدًّا180

ولما كان الموصي قد يمتنع من الوصية لما يتوهمه أن من بعده قد يبدل ما وصى به قال تعالى:

(فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ)الإيصاء للمذكورين أو غيرهم–فَمَنْ بَدَّلَ الْوَصِيَّةَ وَحَرَّفَهَا فَغَيَّرَ حُكْمَهَا وَ زَادَ فِيهَا أَوْ نَقَصَ – وَ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْكِتْمَانُ لَهَا بِطَرِيقِ الْأَوْلَى

(بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ)أى:بعدما عقله و عرف طرقه و تنفيذه

(فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ)و إلا فالموصِى وقع أجره على الله و إنما الإثم على المبدل المغير.

(إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ)يسمع سائر الأصوات ومنه سماعه لمقالة الموصي و وصيته فينبغى له أن يراقب من يسمعه و يراه و أن لا يجور في وصيته

(عَلِيمٌ)بنيته و عليم بعمل الموصى إليه فإذا اجتهد الموصِى و علم الله من نيته ذلك أثابه و لو أخطأ

و فيه التحذير للموصى إليه من التبديل فإن الله عليم به مطلع على ما فعله فليحذر من الله هذا حكم الوصية العادلة181

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾
أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ
فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾
شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ
فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ
يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

(فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا)و الجنف:- و هو: الميـــل بها عن خطـــأ من غير تعمد

(أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ)و الإثـم: و هو التعمــــد لــــذلك.

و أما الوصية التي فيها حيـــف و جنـــف و إثـــم فينبغي لمن حضر الموصِي وقت الوصية بها

1-أن ينصحه بما هو الأحســـن و الأعـــدل 2- و أن ينـــهاه عن الجـــور

فإن لم يفعل ذلك فينبغي له أن يصلح بين الموصى إليهم و يتوصل إلى العدل بينهم على وجه التراضي و المصالحة و وعظهم بتبرئة ذمة ميتهم فهذا قد فعل معروفا عظيما و ليس عليهم إثم كما على مبدل الوصية

الجائزة ولهذا قال:(إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ)يغفر جميع الزلات ويصفح عن التبعات لمن تاب إليه و منه مغـــفرته لمن غض من نفسه و ترك بعض حقه لأخيه لأن من سامح سامحه الله غفور لميتهم الجائر في وصيته

إذا احتسبوا بمسامحة بعضهم بعضا لأجل براءة ذمته

(رَّحِيمٌ)بعباده حيث شرع لهم كل أمر به يتراحمون و يتعاطفون

فدلت هذه الآيـــات على:-

1- الحـــث على الوصية 2-و على بيـــان من هي له3-و على وعيـــد المبدل للوصية العادلة

4- والـــترغيب في الإصلاح في الوصية الجائرة 182

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

*البخارى1905 -عَنْ عَلْقَمَةَ ﷺقَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺفَقَالَ:
كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:«مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(قاطع للشهوة)

يخبر تعالى بما منَّ به على عباده بأنه فرض عليهم الصيام كما فرضه على الأمـــم الســـابقة لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان.

وفيه تنشيط لهذه الأمة بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال والمسارعة إلى صالح الخصال وأنه ليس من الأمور الثقيلة التي اختصيتم بها. ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال:

(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه.

فمما اشتمـــل عليه مـــن التقـــوى:-

1-أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب و الجماع ونحوها التي تميل إليها نفسه متقربا بذلك إلى الله راجيـــا بتركها ثوابه فهذا من التقوى.

2-أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى فيترك ما تهوى نفسه مع قدرته عليه لعلمه باطلاع الله عليه

3-أن الصيام يُضيق مجاري الشيطان فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم فبالصيام يضعف نفوذه وتقل منه المعاصي

4-أن الصائم في الغالب تكثر طاعته والطاعات من خصال التقوى

5-أن الغني إذا ذاق ألم الجوع أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين وهذا من ((خصال التقوى))183

*و لما ذكر أنه فرض عليهم الصيام أخبر أنه(أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖ)قليـــلة في غاية السهولة.

ثم سهل تسهيلا آخر(فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ)و ذلك للمشقة في الغالب رخص الله لهما فى الفطر

*و لما كان لا بد من حصول مصلحة الصيام لكل مؤمن أمرهما أن يقضياه فى أيام أخر إذا زال المرض و انقضى السفر و حصلت الراحة.

و فى قوله:(فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ)دليل على أنه يقضى عدد أيام رمضان كاملا كان أو ناقصا و على أنه يجوز أن يقضي أياما قصيرة باردة عن أيام طويلة حارة كالعكس.

(وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ)

أى:الصيام يتكلفونه و يشق عليهم مشقة غير محتملة كالشيخ الكبير فدية عن كل يوم مسكين

(فِدۡيَةٞ)عن كل يوم يفطرونه (طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ)

و هذا في ابتداء فرض الصيام لما كانوا غير معتادين للصيام و كان فرضه حتما فيه مشقة عليهم درجهم الرب الحكيم بأسهل طريق و خيَّر المطيق للصوم بين أن يصوم و هو أفضل أو يطعم

(فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ)زاد على المُدّين( ) أو أطعم أكثر من مسكين فهو خير له.

و لهذا قال:(وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ)

ثم بعد ذلك جعل الصيام حتما على المطيق و غير المطيق يفطر و يقضيه في أيام أخر

(إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)184

(شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ)الصوم المفروض عليكم هو شهر رمضان الشهر العظيم

الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم وهو القرآن الكريم

(إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ)القدر: ١ (إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ)الدخان: ٣

(هُدًى)لقلوب(لِّلنَّاسِ)ممن آمن به و صدقه

(وَبَيِّنَٰتٍ)وَ دَلَائِلُ و حُجَج بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ جَلِيَّةٌ

(مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ)المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية و الدنيوية

و تبيين الحق بأوضح بيان و الفرقان بين الحق و الباطل و الهدى و الضلال و أهل السعادة و أهل الشقاوة.

–فحقيق بشهر هذا فضله وهذا إحسان الله عليكم فيه أن يكون موسما للعباد مفروضا فيه الصيام.

فلما قرره و بيَّن فضيلته و حكمة الله تعالى في تخصيصه قال:–

(فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)

و نَسَخت هَذِهِ الْآيَةُ الْإِبَاحَةَ الْمُتَقَدِّمَةَ لِمَنْ كَانَ صَحِيحًا مُقِيمًا أَنْ يُفْطِرَ وَ يَفْدِيَ بِإِطْعَامِ مِسْكِينٍ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ–هذا فيه تعيين الصيام على القادر الصحيح الحاضر.

(وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)

و لما كان النسخ للتخيير بين الصيـــــام و الفـــــداء خاصة

أعاد الرخصة((للمريض))و ((المسافر)) لئلا يتوهم أن الرخصة أيضا منسوخة

*مع تحتمه في حق المقيم الصحيح تيسيرا عليكم و رحمة بكم

فقال (يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ)

أى:يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير و يسهلها أشد تسهيـل

و لهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله.

و إذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقـــــله سهَّله تسهيلا آخر :–

هل الواجب مد أو مدان خلاف فمن الفقهاء من يرى مدين ومنهم من يرى مداً واحداً و المد: الحفنة بحفنة الرجل المعتدل بين القصر و الطول.

إما بإسقـــــاطه أو تخفيفـــــه بأنواع التخفيفات.

و هذه جملة لا يمكن تفصيلها لأن تفاصيلها جميع الشرعيات و يدخل فيها جميع الرخـص والتخفيـــــفات.

(وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ)

و هذا –و الله أعلم–لئلا يتوهم متوهم أن صيام رمضان يحصل المقصود منه ببعضه دفع هذا الوهم بالأمر بتكميل عدته و يشكر الله تعالى عند إتمامه على توفيقه و تسهيله و تبيينه لعباده

(وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ)و بالتكبير عند انقضائه و يدخل في ذلك التكبير عند رؤية هلال شوال إلى فراغ خطبة العيد كقوله(فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا)البقرة: ٢٠٠

*وَ لِهَذَا جَاءَتِ السُّنَّةُ بِاسْتِحْبَابِ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَ التَّكْبِيرِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ.

*البخارى842- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:-«كُنْتُ أَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلاَةِ النَّبِيِّ ﷺبِالتَّكْبِيرِ»

(وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ)إِذَا قُمْتُمْ بِمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ مِنْ طَاعَتِهِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَ تَرْكِ مَحَارِمِهِ وَ حِفْظِ حُدُودِهِ فَلَعَلَّكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الشَّاكِرِينَ بِذَلِكَ185

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ)لأنه تعالى الرقيب الشهيد المطلع على السر و أخفى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فهو قريب أيضا من داعيه بالإجابة

و لهذا قال:(أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ)–و الـــدعاء نوعان:–1– دعاء عبـــــادة2–و دعاء مســــألة.

–و القـــــرب نوعان:–

1– قرب بعلـــــمه من كل خلقه 2–و قرب من عـابديه وداعيه((بالإجـــــابة و المعـــــونة والتـــــوفيق))

–فمن دعا ربه بقلب حاضر و دعاء مشروع و لم يمنع مانع من إجابة الدعاء كأكل الحرام و نحوه فإن الله قد وعده بالإجابة

*مسلم(2704) عَنْ أَبِي مُوسَىﷺقَالَ:كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺفِي سَفَرٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا(ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم) عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَ لَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ»قَالَ وَ أَنَا خَلْفَهُ وَ أَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ:-أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: قُلْ:-لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ

*مسلم(2675)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-إِنَّ اللهَ يَقُولُ:أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِى

*مشكاة المصابيح(مسند أحمد)2259 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّﷺ أَنَّ النَّبِيَّﷺقَالَ:

مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْـــــمٌ وَ لَا قَطِيعَةُ رَحِـــــــمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ:

1-إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ 2-وَ إِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ 3-وَ إِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عنهُ من السُّوءِ مثلَها "

قَالُوا:-إِذَنْ نُكْثِرُ قَالَ: «اللهُ أَكْثَر»

*البخارى6340 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ(يسأم ويترك الدعاء أو يستبطئ الإجابة) يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي

*وَ فِي ذِكْرِهِ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ الْبَاعِثَةَ عَلَى الدُّعَاءِ مُتَخَلِّلَةً بَيْنَ أَحْكَامِ الصِّيَامِ إِرْشَادٌ إِلَى الِاجْتِهَادِ فِي الدُّعَاءِ عِنْدَ إِكْمَالِ العِدّة

*بَلْ وعندَ كُلِّ فِطْرٍ كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ:

*مسند أبي داود الطيالسى2376 - عن عبد الله بن عمروﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:

«لِلصَّائِمِ عِنْدَ إِفْطَارِهِ دَعْــوَةٌ مُسْتَجَـابَةٌ»فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو إِذَا أَفْطَرَ دَعَا أَهْلَهُ وَ وَلَدَهُ وَ دَعَا

(فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي)و خصوصـــا إذا أتى بأسبـــاب إجـــابة الدعـــاء

و هى الاستجــــابة لله تعالى :-

1-بالانقياد لأوامــــره ونـــواهيه((القـــولية و الفعــلية))

2-و الإيمــــان به الموجب للاستجـــابة

فلهذا قال:(لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)يحصل لهم الرشد الذي هــــو :-الهداية للإيمان و الأعمال الصالحة

و يزول عنهم الغي المنافي للإيمان و الأعمال الصالحة و لأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره سبب لحصول

العلم كما قال تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا) الأنفال: ٢٩ 186

من أوجه الإعجاز العلمي في الصيام

يعتقد كثير من الناس أن للصيام تأثيراً سلبياً على صحتهم و ينظرون إلى أجسامهم نظرتهم إلى الآلة الصماء التى لا تعمل إلا بالوقود و قد اصطلحوا على أن تناول ثلاث وجبات يومياً أمر ضروري لحفظ حياتهم و أن ترك وجبة طعام واحدة سيكون لها من الأضرار والأخطار الشىء الكثير كنتيجة طبيعية للجهل العلمى بطبيعة الصيام الإسلامى و فوائده المحققة و في هذه المقالة سنلقي الضوء على أوجه الإعجاز العلمى في الصيام.

☼الوجه الأول: الوقاية من العلل والأمراض:-

أخبر الله سبحانه وتعالى أنه فرض علينا الصيام وعلى كل أهل الملل قبلنا لنكتسب به التقوى الإيمانية التي تحجزنا عن المعاصي والآثام ولنتوقى به كثيراً من الأمراض والعلل الجسمية والنفسية

*مسلم 1151عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ»

وقد ثبت من خلال الأبحاث الطبية بعض الفوائد الوقائية للصيام ضد كثير من الأمراض والعلل الجسمية والنفسية منها

1- يقوى الصيام جهاز المناعة:-

فيقي الجسم من أمراض كثيرة حيث يتحسن المؤشر الوظيفي للخلايا اللمفاوية عشرة أضعاف كما تزداد نسبة الخلايا المسئولة عن المناعة النوعية (T.lymphocytes) زيادة كبيرة كما ترتفع بعض أنواع الأجسام المضادة في الجسم و تنشط الردود المناعية نتيجة لزيادة البروتين الدهنى منخفض الكثافة

2- الوقاية من مرض السمنة و أخطارها:-

حيث إنه من المعتقد أن السمنة كما قد تنتج عن خلل في تمثيل الغذاء فقد تتسبب عن ضغوط بيئية أو نفسية أو اجتماعية وقد تتضافر هذه العوامل جميعاً في حدوثها وقد يؤدى الاضطراب النفسى إلى خلل في التمثيل الغذائى وكل هذه العوامل التي يمكن أن تنجم عنها السمنة يمكن الوقاية منها بالصوم من خلال الاستقرار النفسي والعقلي الذي يتحقق بالصوم نتيجة الجو الإيمانى الذي يحيط بالصائم وكثرة العبادة والذكر وقراءة القرآن والبعد عن الانفعال والتوتر و ضبط النوازع والرغبات و توجيه الطاقات النفسية و الجسمية توجيهاً إيجابياً نافعاً.

3- يقي الصيام الجسم من تكون حصيات الكلي:-

إذ يرفع معدل الصوديوم في الدم فيمنع تبلور أملاح الكالسيوم كما أن زيادة مادة البولينا فى البول تساعد فى عدم ترسب أملاح البول التي تكون حصيات المسالك البولية

4-يقي الصيام الجسم من أخطار السموم المتراكمة فى خلاياه و بين أنسجته من جراء تناول الأطعمة و بين أنسجته من جراء تناول الأطعمة وخصوصاً المحفوظة و المصنعة منها و تناول الأدوية و استنشاق الهواء الملوث بهذه السموم

5-يخفف الصيام ويهدئ ثورة الغريزة الجنسية و خصوصاً عند الشباب وبذلك يقي الجسم من الإضرابات النفسية والجمسية والانحرافات السلوكية وذلك تحقيقاً للإعجاز في حديث النبي ﷺ"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" إذا التزم الشاب الصيام وأكثر منه

و ذلك لقوله النبي ﷺ" فعليه بالصوم " أي فليكثر من الصوم المتواصل وقد وُجد أن الإكثار من الصوم مع الاعتدال فى الطعام والشراب و بذل الجهد المعتاد الذى يقترب من الصيام المتواصل و يجنى الشاب فائدته في تثبيط غرائزه المتأججه بيسر كما لا يتعرض إلى أخطار هذا النوع من الصيام. وهذا البحث يجلى بوضوح الإعجاز في قول النبي ﷺ

*فإنه له وجاء" من وجهين:

الأول:الإشارة إلى أن الخصيتين هما مكان إنتاج عوامل الإثارة الجنسية حيث أن معنى الوجاء( ) أن ترض أنثيا الفحل (خصيتاه) رضاً شديداً يذهب شهوة الجماع و يتنزل في قطعة منزلة الخَصْى

وقد ثبت أن في الخصيتين خلايا متخصصة في إنتاج هرمون التيستوستيرون (Testosterone)

و هو الهرمون المحرك و المثير للرغبة الجنسية و أن قطع الخصيتين (الخَصْى) يذهب هذه الرغبة و يخمدها تماماً.

الثــاني:-

إن الإكثار من الصوم مثبط للرغبة الجنسية و كابح لها و قد ثبت في هذا البحث هبوط مستوى هرمون الذكورة (التيستوستيرون)هبوطاً كبيراً أثناء الصيام المتواصل بل وبعد إعادة التغذية بثلاثة أيام ثم ارتفع ارتفاعاً كبيراً بعد ذلك وهذا يؤكد أن الصيام له القدرة على كبح الرغبة الجنسية مع تحسينها بعد ذلك وهذا يؤكد فائدة الصوم في زيادة الخصوبة عند الرجل بعد الإفطار.فالصيام يقوي جهاز المناعة ويقي الجسم من تكون حصيات الكلى.

۞الوجه الثاني: { وأن تصوموا خير لكم }

بعد أن أخبرنا الله سبحانه وتعالى وأخبرنا رسوله ﷺأن الصيام يحقق لنا وقاية من العلل الجسمية والنفسية ويشكل حاجزاً وستراً لنا من عقاب الله أخبرنا جل في علاه أن في الصيام خيراً ليس للأصحاء المقيمين فقط بل أيضاً للمرضى و المسافرين و الذين يستطيعون الصوم بمشقة ككبار السن و من فى حكمهم

{ أياماً معدودات فى من كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون}[البقرة: 184]أى فضيلة الصوم وفوائده و ذلك لعموم اللفظ و وذالك فى قوله تعالى{ وأن تصوموا خير لكم}

وقد تجلت هذه الفوائد واستقر خبرها في زماننا هذا لمن أوجب الله عليهم الصيام و لمن أطاقوه من أهل الرخص الذين يستطيعون تناول وجبتي الفطور والسحور كالأصحاء.

بعض الأمراض الخطرة التي كان يخشى عليها من الصيام:-

*كان وما زال الأطباء يعتقدون أن الصيام يؤثر على مرضى المسالك البولية وخصوصاً الذين يعانون من تكوين الحصيات أو الذين يعانون من تكوين الحصيات أو الذين يعانون من فضل كلوى فينصحون مرضاهم بالفطر وتناول كميات كبيرة من السوائل.

وقد ثبت خلاف ذلك إذ ربما كان الصيام سبباً في عدم تكون بعض الحصيات و إذابة بعض الأملاح

و لم يؤثر الصيام مطلقاً حتى على من يعانون أخطر الأمراض الجهاز البولى وهو مرض الفشل الكلوى مع الغسيل المتكرر

5- كان يعتقد أن الفقدان النسبى لسوائل الجسم و انخفاض عدد ضربات القلب وزيادة الإجهاد أثناء الصوم يؤثر تأثيراً سلبياً على التحكم في منع تجلط الدم وهو من أخر الأمراض

لسان العرب :ووَجَأَ التَّيْسَ وَجْأً ووِجَاءً، فَهُوَ مَوْجُوءٌ ووَجِيءٌ :إِذا دَقَّ عُروق خُصْيَتَيْه بَيْنَ حَجَرَيْنِ مِنْ غَيْرِ أَن يُخْرِجَهما.

و قد ثبت أن الصيام الإسلامى لا يؤثر على ذلك في المرضى الذين يتناولون الجرعات المحددة من العلاج ثبت أن الصيام لا يشكل خطراً على معظم مرضى السكر إن لم يكن يفيد الكثيرين منهم

بعض الأمـــــــــــــراض التي يعالجها الصيام

يعالج الصيام عدداً من الأمراض الخطيرة أهمها:

أ-الأمراض الناتجة عن السمنة: كمرض تصلب الشرايين و ضغط الدم وبعض أمراض القلب .

ب-يعالج بعض أمراض الدورة الدموية الطرفية مثل: مرض الرينود (Raynaud's disease) و مرض برجر

جـ-يعالج الصيام المتواصل الطبى مرض إلتهاب المفاصل المزمن الروماتويد

د-يعالج الصيام ارتفاع حموضة المعدة و بالتالى يساعد في التئام قرحة المعدة مع العلاج المناسب

هـ-لا يسبب الصيام أي خطر على المرضعات أو الحوامل و لا يغير من التركيب الكيميائى أو التبدلات الاستقلابية فى الجسم عند المرضعات وخلال الشهور الأولى والمتوسطة من الحمل

فـــــــــــــوائد أخرى تجنى بالصوم:

1-يمكن الصيام آليات الهضم والامتصاص في الجهاز الهضمي وملحقاته من أداء وظائفها على أتم وأكمل وجه وذلك بعدم إدخال الطعام والشراب على الوجبة الغذائية أثناء هضمها وامتصاصها.

كما يتيح الصيام راحة فسيولوجية للجهاز الهضمي وملحقاته وذلك بمنع تناول الطعام والشراب لفترة زمنية تتراوح من 9 - 11 ساعة بعد امتصاص الغذاء كما تستريح آليات الامتصاص في الأمعاء طوال هذه الفترة من الصيام

و تتمكن الانقباضات الخاصة (Migrating Motor Complex)بتنظيف الأمعاء من عملها المستمر دون توقف

2-يمكن الصيام الغدد الصماء ذات العلاقة بعمليات الاستقلاب فى فترة ما بعد الامتصاص ومن أداء وظائفها في تنظيم وإفراز هرموناتها الحيوية على أتم حال وذلك بتنشيط آليات التثبيط والتنبيه لها يومياً ولفترة دورية ثابتة ومتغيرة طوال العام

وبالتالى يحصل توازن بين الهرمونات المتضادة في العمل مثل هرمونى: النمو و الإنسولين كهرمونات بناء من ناحية و هرمونى:الجلوكاجون و الكوريتزول كهرمونات هدم من ناحية أخرى

و الذى يتوقف على توازنها الدقيق تركيز الأحماض الأمينية في الدم توازن الاستقلاب.

3-ينشط الصيام آليات الاستقلاب أو التمثيل الغذائي في البناء والهدم للجلوكوز والدهون والبروتينات في الخلايا لتقوم بوظائفها على أكمل وجه.

4-أما إذا اقتصر الجسم على البناء فقط و كان همه التخزين للغذاء في داخله فإن آليات البناء تغلب آليات الهدم فيعتري الأخيرة - لعدم استعمالها بكامل طاقتها - وهن تدريجى تظهر ملامحه عند تعرض الجسم لشدة مفاجئة بانقطاع الطعام عنه في الصحة أو المرض فقد لا يستطيع هذا الإنسان مواصلة حياته أو مقاومة مرضه .

5-يحسن الصيام خصوبة المرأة و الرجل على السواء

6-يستفيد الإنسان من العطش أثناء الصيام استفادة كبيرة حيث يساعد في إمداد الجسم بالطاقة وتحسين القدرة على التعلم وتقوية الذاكرة .

7- تتهدم الخلايا المريضة و الضعيفة في الجسم عندما يتغلب الهدم على البناء أثناء الصيام وتتجدد الخلايا أثناء مرحلة البناء .

8-كذلك فإن أداء الصيام طاعة لله و خشوعاً له ورجاء فيما عنده سبحانه من الأجر و المثوبة لعمل ذو فائدة جمة لنفس الإنسان وجسمه حيث يبث في النفس السكينة و الطمأنينة و ينعكس هذا بدوره على آليات الاستقلاب فيجعلها تتم في أوفق و أيسر و أنفع السبل مما يعود بالنفع والفائدة على الجسم

إن الصيام كاقتناع فكرى وممارسة عملية يقوى لدى الإنسان كثيراً من جوانبه النفسية فيقوى لديه:-

الصبر و الجلد و قوة الإرادة و ضبط النوازع و الرغبات و يضفى على نفسه السكينة و الرضا و الفرح...

وقد أخبر بذلك النبي ﷺفقال: " للصائم فرحتان يفرحهما:إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه"متفق عليه.

9- ثبت بالدليل العلمى القاطع أن الصيام ليس له أي تأثير سلبي على الآداء العضلى و تحمل المجهود البدنى

بل بالعكس أظهرت نتائج البحث القيم الذي أجراه الدكتور أحمد القاضي و زملاؤه دليل جديد على الإعجاز العلمى لحديث " صوموا تصحوا "و أية { وإن تصوموا خير لكم}بالولايات المتحدة الأمريكية أن درجة تحمل المجهود البدنى و بالتالي كفاءة الآداء العضلى قد ازداد بنسبة 200% عند 30% من أفراد التجربة و 7% عند 40% منهم و تحسنت سرعة دقات القلب بمقدار 9% كما تحسنت درجة الشعور بإرهاق الساقين بمقدار 11%.
و هذا يبطل المفهوم الشائع عند كثير من الناس من أن الصيام يضعف المجهود البدنى و يؤثر على النشاط فيقضون معظم النهار في النوم والكسل.

☼الوجه الثالث: يســــــــــر الصيام الإسلامي و سهولته:

تشير الدراسات العلمية المحققة في وظائف أعضاء الجسم أثناء مراحل التجويع إلى يسر الصيام و سهولته تحقيقاً لقوله تعالى:{يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} [البقرة:185]
وفي تفسير الآية قال الرازي:إن الله تعالى أوجب الصوم على سبيل السهولة واليسر وما أوجبه إلا في مدة قليلة من السنة ثم ما أوجب هذا القليل على المريض ولا على المسافر كما يتجلى يسر الصيام في إمداد الجسم بجميع احتياجاته الغذائية وعدم حرمانه من كل ما هو لازم ومفيد له فالإنسان في هذا الصيام يمتنع عن الطعام والشراب فترة زمنية محدودة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وله حرية المطعم والمشرب من جميع الأغذية والأشربة المباحة ليلاً ويعتبر الصيام الإسلامي بهذا تغييراً لمواعيد تناول الطعام والشراب فحسب فلم يفرض الله سبحانه الانقطاع الكلى عن الطعام لمدد طويلة أو حتى لمدة يوم وليلة تيسيراً وتخفيفاً على أمة خاتم الأنبياءﷺ
و قد تجلى هذا اليسر بعد تقدم وسائل المعرفة والتقنية في هذا العصر.

فقد قسمت المراجع الطبية التجويع إلى ثلاث مراحل:-

1-مرحلة مبكرة 2-و متوسطة 3-و طويلة الأجل

و تقع المرحلة المبكرة بعد نهاية فترة امتصاص آخر وجبة(أي بعد حوالي 5 ساعات من الأكل)
وحتى نهاية فترة ما بعد الامتصاص والتي تتراوح مدتها حوالي 12 ساعة وقد تمتد إلى 40 ساعة عند بعض العلماء في هذه الفترة يقع الصيام كما يقع في فترة امتصاص الغذاء وهذه الفترة من الانقطاع عن الطعام آمنة تماماً بالمقاييس العلمية فالجلوكوز هو الوقود الوحيد للمخ والدهون لا تتأكسد بالقدر الذي يولد أجساماً كيتونية بالدم أثناء هذه الفترة كما لا يستهلك البروتين في إنتاج الطاقة بالقدر الذي يحدث خللاً في التوازن النتروجينى في الجسم.
مما حدا ببعض العلماء أن يسقط فترة ما بعد الامتصاص من مراحل التجويع أصلاً
و هذه الحقيقة تجعل الصيام متفرداً في يسره و سهولته عكس مراحل التجويع الأخرى.
من خلال عرض الحقائق السابقة ندرك أن مدة الصيام الإسلامى و التى تتراوح من 12-16 ساعة في المتوسط يقع جزء منها في فترة الامتصاص ويقع معظمها في فترة ما بعد الامتصاص ويتوفر فيها تنشيط جميع آليات الامتصاص والاستقلاب بتوازن فتنشط آلية تحلل الجليكوجين وأكسدة الدهون وتحللها وتحلل البروتين وتكوين الجلوكوز الجديد منه ولا يحدث للجسم البشرى أي خلل في أي وظيفة من وظائفه فلا تتأكسد الدهون بالقدر الذى يولد أجساماً كيتونية تضر بالجسم و لا يحدث توازن نتروجينى سلبي لتوازن استقلاب البروتين
*ويعتمد المخ البشري وخلايا الدم الحمراء والجهاز العصبي على الجلوكوز وحده للحصول منه على الطاقة
*بينما التجويع أو الصيام الطبي-القصير و الطويل منه-لا يقف عند تنشيط هذه الآليات بل يشتد حتى يحدث خللاً فى بعض وظائف الجسم.
يعتبر الصيام الإسلامي تمثيلاً غذائياً فريداًإذ يشتمل على مرحلتي البناء والهدم
*فبعد وجبتى الإفطار و السحور يبدأ البناء للمركبات الهامة في الخلايا وتجديد المواد المختزنة والتي استهلكت في إنتاج الطاقة وبعد فترة امتصاص وجبة السحور يبدأ الهدم فيتحلل المخزون الغذائي من الجليكوجين والدهون ليمد الجسم بالطاقة اللازمة أثناء الحركة والنشاط في نهار الصيام .لذلك كان تأكيد النبي ﷺوحثه على ضرورة تناول وجبة السحور فعن أنس بن مالك ﷺقال رسول الله ﷺ:- تسحروا فإن في السحور بركة " متفق عليه.
و ذلك لإمداد الجسم بوجبة بناء يستمر لمدة 4 ساعات محسوبة من زمن الانقطاع عن الطعام

وبهذا أيضاً يمكن تقليص فترة ما بعد الامتصاص إلى أقل زمن ممكن كما أن النبى ﷺحث على تعجيل الفطر حيث قال:
"لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر- متفق عليه" وتأخير السحور فقد روى عن زيد بن ثابت ﷺقال:
"تسحرنا مع رسول الله ﷺثم قمنا إلى الصلاة قيل: كم كان بينهما ؟قال خمسون آية " (متفق عليه)
و هذا من شأنه تقليص فترة الصيام أيضاً إلى أقل حد ممكن حتى لا يتجاوز فترة ما بعد الامتصاص ما أمكن
وبالتالي فإن الصيام الإسلامي لا يسبب شدة ولا يشكل ضغطاً نفسياً ضاراً على الجسم البشري بحال من الأحوال.
و بناء على هذه الحقائق يمكننا أن نؤكد أن الذي يتوقف أثناء الصيام هو عمليات الهضم والامتصاص وليست عمليات التغذية فخلايا الجسم تعمل بصورة طبيعية وتحصل على جميع احتياجاتها اللازمة لها من هذا المخزون بعد تحلله و الذى يعتبر هضماً داخل الخلية فيتحول الجليكوجين إلى سكر الجلوكوز و الدسم و البروتينات إلى أحماض دهنية و أحماض أمينية بفعل شبكة معقدة من الإنزيمات و التفاعلات الكيمائية الحيوية الدقيقة
و التى يقف الإنسان أمامها مشدوهاً معترفاً بجلال الله وعلمه وعظيم قدرته وإحكام صنعه.
فمن أخبر محمداً ﷺأن في الصيام وقاية للإنسان من أضرار نفسية وجسدية؟
و من أخبره أن فيه منافع و فوائد يجنيها الأصحاء؟
بل ومن يستطيع الصيام من المرضى وأصحاب الأعذار !!
و من أخبره ﷺبأن الصيام سهل ميسور لا يضر بالجسم ولا يجهد بالنفس؟
ومن أطلعه على أن كثرة الصوم تثبط الرغبة الجنسية؟
و تخفف من حدتها و ثورتها خصوصاً عند الشباب !! يصير الشباب آمناً من الاضطرابات الغريزية النفسية
و محصناً ضد الانحرافات السلوكية !!و خصوصاً أنه نشأ في بيئة لا تعرف هذا الصيام و لا تمارسه." إنه الله... "

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ
عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ
وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ
ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ
وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾
۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا
وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾
وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ) الْجِمَاعُ

هَذِهِ رُخصة مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ و رَفع لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُهُمْ إِنَّمَا يَحِلُّ لَهُ الْأَكْلُ وَ الشُّرْبُ وَ الْجِمَاعُ إِلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ أَوْ يَنَامُ قَبْلَ ذَلِكَ فَمَتَى نَامَ أَوْ صَلَّى الْعِشَاءَ حَرُمَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ وَ الشَّرَابُ وَ الْجِمَاعُ إِلَى اللَّيْلَةِ الْقَابِلَةِ فَوَجَدُوا مِنْ ذَلِكَ مَشَقة كَبِيرَةً.

(إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ)هُنَّ سَكَن أو لحاف لَكُمْ وَ أَنْتُمْ سَكَنٌ أو لحاف لَهُنَّ-

*الصحيح المسند من أسباب النزول:*البخارى1915-عَنِ الْبَرَاءِ ﷺقَالَ:-

كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا فَحَضَرَ الإِفْطَارُ فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلاَ يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًافَلَمَّا حَضَرَ الإِفْطَارُ أَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ لَهَا: أَعِنْدَكِ طَعَامٌ؟ قَالَتْ:لاَ وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ(كناية عن النوم) فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: خَيْبَةً لَكَ فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺفَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:

{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ}فَفَرِحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا وَنَزَلَتْ:{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ}

(عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ) تخونون (أَنفُسَكُمْ)

بمخالفة ما حرَّمه الله عليكم من مجامعة النساء بعد العشاء فى ليالى الصيام-و كان ذلك في أول الإسلام

(فَتَابَ)الله(عَلَيْكُمْ) بأن وسع لكم أمرا كان – لولا توسعته – موجبا للإثم

(وَعَفَا عَنكُمْ)ما سلف من التخون.

(فَٱلْـَٔـٰنَ)بعد هذه الرخصة و السعة من الله(بَٰشِرُوهُنَّ)وطـــــأً و قبـــــلةً و لمســــًا و غير ذلك.

(وَٱبْتَغُوا۟)و اطلبوا (مَا كَتَبَ)ما قدَّره (ٱللَّهُ لَكُمْ)من الأولاد–انـووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله

و المقصود الأعظم من الــــوطء و هــــــو :–

1–حصول الــــذرية 2–و إعفـــــاف فرجه و فرج زوجته3– و حصــــول مقاصد النكاح.

(وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ)

ضياء الصباح من سواد الليل بظهور الفجر الصادق

*الصحيح المسند من أسباب النزول:-البخارى1917-عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ:" أُنْزِلَتْ:

{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ* مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ}[البقرة: 187]وَلَمْ يَنْزِلْ {مِنَ الفَجْرِ}[البقرة: 187]

فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلِهِ الخَيْطَ الأَبْيَضَ وَ الخَيْطَ الأَسْوَدَ وَ لَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُؤْيَتُهُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدُ: {مِنَ الفَجْرِ}[البقرة: 187] فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ "

*البخارى 4509 عَنْ عَدِيٍّ رضي الله عنه قَالَ:أَخَذَ عَدِيٌّ عِقَالًا أَبْيَضَ وَعِقَالًا أَسْوَدَ حَتَّى كَانَ بَعْضُ اللَّيْلِ نَظَرَ فَلَمْ يَسْتَبِينَا فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: جَعَلْتُ تَحْتَ وِسَادِي عِقَالَيْنِ قَالَ: «إِنَّ وِسَادَكَ إِذًا لَعَرِيضٌ أَنْ كَانَ الخَيْطُ الأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ تَحْتَ وِسَادَتِكَ»

فوائد و درر:– 1–هذا غاية للأكل و الشرب و الجماع

2–و فيه أنه إذا أكل و نحوه شاكا في طلوع الفجر فلا بأس عليه.

3–و فيه دليل على استحباب السحور للأمر و أنه يستحب تأخيره أخذًا من معنى رخصة الله للعباد.

4-وفيه أيضا دليل على أنه يجوز أن يدركه الفجر و هو جُنُبٌ من الجماع قبل أن يغتسل و يصح صيامه لأن لازم إباحة الجماع إلى طلوع الفجر أن يدركه الفجر و هو جنب و لازم الحق حق.

* البخاري 1923 -عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً(دنيوية في التقوى على صيام النهار وأخروية بمزيد الأجر والثواب)»

*مسلم (1096) عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ»(فإنهم لا يتسحرون ونحن يستحب لنا السحور)

(ثُمَّ)إذا طلع الفجر(أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ)الإمساك عن المفطرات (إِلَى ٱلَّيْلِ)

و هو غروب الشمس و لما كان إباحة الوطء في ليالي الصيام ليست إباحته عامة لكل أحد

*البخارى1954 -عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا وَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ»

*البخارى 1957-عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ»

(وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ)و لا تجامعوا نساءكم أو تتعاطوا ما يفضى إلى جماعهن من تَقْبِيلٍ وَ مُعَانَقَةٍ وَ نَحْوِ ذَلِكَ

و الحال(وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ)

*البخارى 2029 - عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ- قَالَتْ:وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَيُدْخِلُ عَلَيَّ رَأْسَهُ وَهُوَ فِي المَسْجِدِ فَأُرَجِّلُهُ وَ كَانَ لاَ يَدْخُلُ البَيْتَ إِلَّا لِحَاجَةٍ إِذَا كَانَ مُعْتَكِفًا»

*مسلم 297 عن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺقَالَتْ:

إِنْ كُنْتُ لَأَدْخُلُ الْبَيْتَ لِلْحَاجَةِ وَ الْمَرِيضُ فِيهِ فَمَا أَسْأَلُ عَنْهُ إِلَّا وَأَنَا مَارَّةٌ

و دلت الآية على :-

1-مشروعية الاعتكاف وهو لزوم المسجد لطاعة الله تعالى و انقطاعا إليه

2-و أن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد

3-و يستفاد من تعريف المساجد أنها المساجد المعروفة عندهم و هى التي تقام فيها الصلوات الخمس

4-و فيه أن الوطء من مفسدات الاعتكاف.

(تِلۡكَ)المذكورات-و هو تحريم الأكل و الشرب و الجماع و نحوه من المفطرات في الصيام و تحريم الفطر على غير المعذور و تحريم الوطء على المعتكف و نحو ذلك من المحرمات

(حُدُودُ ٱللَّهِ)التى حدها لعباده و نهاهم عنها فقال:(فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ)

أبلغ من قوله: « فلا تفعلوها » :-

لأن القربان يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه و النهى عن وسائله الموصلة إليه.

و العبد مأمور بترك المحرمات و البعد منها غاية ما يمكنه و ترك كل سبب يدعو إليها

و أما الأوامر فيقول الله فيها:(تلك حدود الله فلا تعتدوها) فينهى عن مجاوزتها.

(كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ)بيَّن الله لعباده الأحكام السابقة أتم تبيين و أوضحها لهم أكمل إيضاح.

(ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ)

فإنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه و إذا تبين لهم الباطل اجتنبوه فإن الإنسان قد يفعل المحرم على وجه الجهل بأنه محرم ولو علم تحريمه لم يفعله فإذا بين الله للناس آياته لم يبق لهم عذر ولا حجة فكان ذلك سببا للتقوى187

(وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم)أموال غيركم أضافها إليهم لأنه ينبغى للمسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه و يحترم ماله كما يحترم ماله -و لأن أكله لمال غيره يجرئ غيره على أكل ماله عند القدرة.

(بَيۡنَكُم)و لا يأكل بعضكم مال بعض

(بِٱلۡبَٰطِلِ)بسبب باطل كاليمين الكاذبة و الغصب و السرقة و الرشوة و الربا ونحو ذلك

(وَتُدۡلُواْ بِهَآ)و لا تلقوا بالحجج الباطلة (إِلَى ٱلۡحُكَّامِ)

(لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ)عن طريق التخاصم أموال طائفة من الناس بالباطل

(وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)تحريم ذلك عليكم.

*هَذَا فِي الرَّجُلِ يَكُونُ عَلَيْهِ مَالٌ وَ لَيْسَ عَلَيْهِ فِيهِ بَيِّنة فَيَجْحَدُ الْمَالَ وَ يُخَاصِمُ إِلَى الْحُكَّامِ وَ هُوَ يَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ عَلَيْهِ وَ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ آثِمٌ آكِلُ حرام-قيل:-لَا تُخَاصِمْ وَ أَنْتَ تعلمُ أنَّك ظَالِمٌ

*البخارى2680 -عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَ لَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِه(أفطن وأفصح ببيان حجته وإظهار أن الحق له) مِنْ بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ:-فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلاَ يَأْخُذْهَا

*و لما كان أكلها نـــوعين: 1-نوعا بحـــق 2-و نوعا بباطـــل

و كان المحرم إنما هو أكلها بالباطل قيده تعالى بذلك و يدخل في ذلك:-

1-أكلها على وجه الغصـــب 2-و الســـرقة 3-و الخيانة فى [وديعة أو عارية أو نحو ذلك]

4-و يدخل فيه أيضا أخذها على وجه المعاوضة بمعاوضة محرمة[كعقود الربا و القمار كلها]

فإنها من أكل المال بالباطل لأنه ليس في مقابلة عوض مباح

5-و يدخل في ذلك أخذها بسبب غـــش فى:-[البيع و الشراء و الإجارة و نحوها]

6-و يدخل فى ذلك استعمال الأجراء و أكل أجرتهم7-و كذلك أخذهم أجرة على عمل لم يقوموا بواجبه

8-و يدخل في ذلك أخذ الأجرة على العبادات و القربات التي لا تصح حتى يقصد بها وجه الله تعالى

9-و يدخل في ذلك الأخذ من[الزكوات والصدقات و الأوقاف و الوصايا]لمن ليس له حق منها أو فوق حقه.

-حتى و لو حصل فيه النزاع وحصل الارتفاع إلى حاكم الشرع وأدلى من يريد أكلها بالباطل بحجة غلبت حجة المحق وحكم له الحاكم بذلك188

(۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ)جمع - هلال - ما فائدتها وحكمتها؟ أو عن ذاتها

(قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ)جعلها الله تعالى بلطفه و رحمته على هذا التدبير يبدو الهلال ضعيفا في أول الشهر ثم يتزايد إلى نصفه ثم يشرع في النقص إلى كماله و هكذا ليعرف الناس بذلك مواقيت عباداتهم من:-

1- الصيام2-و أوقات الزكاة3-و الكفارات4-و أوقات الحج5-أوقات الديون المؤجلات

6-و مدة الإجارات7-و مدة العدد و الحمل

(وَٱلۡحَجِّۗ)و غير ذلك مما هو من حاجات الخلق فجعله تعالى حسابا يعرفه كل أحد من صغير و كبير و عالم و جاهل فلو كان الحساب بالسنة الشمسية لم يعرفه إلا النادر من الناس.

(وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا)

*الصحيح المسند من أسباب النزول:صحيح البخارى1803 - عن البَرَاءَ ﷺيَقُولُ:«نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا كَانَتِ الأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَجَاءُوا(إلى منازلهم) لَمْ يَدْخُلُوا مِنْ قِبَلِ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ وَلَكِنْ مِنْ ظُهُورِهَا فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَدَخَلَ مِنْ قِبَلِ بَابِهِ فَكَأَنَّهُ عُيِّرَ(وهو التعييب) بِذَلِكَ فَنَزَلَتْ»:

{وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا* وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى* وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا} [البقرة: 189]

و يستفاد من إشارة الآية:-

۞أنه ينبغي في كل أمر من الأمور أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب الذي قد جعل له موصلا فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ينبغي أن ينظر في حالة المأمور و يستعمل معه الرفق و السياسة التي بها يحصل المقصود أو بعضه

۞و المتعلم و المعلم ينبغي أن يسلك أقرب طريق و أسهله يحصل به مقصوده و هكذا كل من حاول أمرا من الأمور و أتاه من أبوابه و ثابر عليه فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود.

(وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ)ادخلوا البيوت (مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ)عند إحرامكم بالحج أو العمرة

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)هذا هو البر الذي أمر الله به و هو لزوم تقواه على الدوام بامتثال أوامره و اجتناب نواهيه

(لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) فإنه سبب للفلاح الذي هو الفوز بالمطلوب و النجاة من المرهوب فمن لم يتق الله تعالى لم يكن له سبيل إلى الفلاح و من اتقاه فاز بالفلاح والنجاح189

(وَقَٰتِلُواْ)هذه الآيات تتضمن الأمر بالقتال في سبيل الله

و هذا كان بعد الهجرة إلى المدينة لما قوي المسلمون للقتال أمرهم الله به بعد ما كانوا مأمورين بكف أيديهم و في تخصيص القتال

(فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)حث على الإخلاص و نهى عن الاقتتال في الفتن بين المسلمين.

(ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ)الذين هم مستعدون لقتالكم وهم المكلفون الرجال غير الشيوخ الذين لا رأي لهم و لا قتال.

(وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ)

-و النهى عن الاعتداء يشمل أنواع الاعتداء كلها من قتل من لا يقاتل من:-

1- النساء 2-و المجانين3-و الأطفال4-و الرهبان و أصحاب الصوامع

5-و التمثيل بالقتلى 6-و قتل الحيوانات 7-و قطع الأشجار ونحوها لغير مصلحة تعود للمسلمين.

8-و من الاعتداء مقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوها فإن ذلك لا يجوز 9-الغلول

*مسلم 1731- عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ:

«اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا190

وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ
حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾
وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ
وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ
حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ
فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ
تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

(وَٱقۡتُلُوهُمۡ)فى كل وقت و فى كل زمان قتال مدافعة و قتال مهاجمة

(حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ)وجدتموهم (وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ)

(وَٱلۡفِتۡنَةُ)

–و لما كان القتال عند المسجد الحرام يُتوهم أنه مفسدة في هذا البلد الحرام :–

أخبر تعالى أن المفسدة بالفتنة عنده بالشرك و الصد عن دينه(أَشَدُّ مِنَ)مفسدة (ٱلۡقَتۡلِ)

فليس عليكم – أيها المسلمون – حرج في قتالهم.

و يستدل بهذه الآية على القاعدة المشهورة و هى:((أنه يرتكب أخف المفسدتين لدفع أعلاهما)).

–ثم استثنى من هذا العموم قتالهم (وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ)دفعا للصائل

*البخارى1834 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺيَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ:
«لاَ هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوافَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ
وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَ إِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ القِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَ لَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ
فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ وَ لاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ وَ لاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا
وَ لاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا»قَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَ لِبُيُوتِهِمْ قَالَ: قَالَ: «إِلَّا الإِذْخِرَ»

(فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ)

و أنه لا يجوز إلا أن يبدأوا بالقتال فإنهم يقاتلون جزاء لهم على اعتدائهم و هذا مستمر في كل وقت191

﴿ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

حتى ينتهوا عن كفرهم فيسلموا فإن الله يتوب عليهم ولو حصل منهم ما حصل من الكفر بالله و الشرك في المسجد الحرام و صد الرسول والمؤمنين عنه و هذا من رحمته و كرمه بعباده192

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾شــــــــرك(الفتنة أى الكفر و ليس النزاع و الخصومة أو العداوة)

و مثله قوله(والفتنة أشد من القتل)

ثم ذكر تعالى المقصود من القتال في سبيله وأنه ليس المقصود به سفك دماء الكفار وأخذ أموالهم

و لكن المقصود به :-(وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ)تعالى فيظهر دين الله تعالى على سائر الأديان

و يدفع كل ما يعارضه من الشــــــرك و غيره و هو المراد [بالفتنة]فإذا حصل هذا المقصود فلا قتل و لا قتال

*البخارى 2810 - عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺقَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ الرَّجُلُ:
يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟
قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»

(فَإِنِ انتَهَوْا)عن قتالكم عند المسجد الحرام

(فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)فليس عليهم منكم اعتداءإلا من ظلم منهم فإنه يستحق المعاقبة بقدر ظلمه.

*البخارى25–عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»193

(الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ)

قتالكم -أيها المؤمنون- للمشركين فى الشهر الذي حرَّم الله القتال فيه هو جزاء لقتالهم لكم في الشهر الحرام.

مسند أحمد14713 - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ:
" لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَغْزُو فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ إِلَّا أَنْ يُغْزَى أَوْ يُغْزَوْا فَإِذَا حَضَرَهُ أَقَامَ حَتَّى يَنْسَلِخَ "

1–يحتمل أن يكون المراد به ما وقع من صد المشركين للنبي ﷺوأصحابه عام الحديبية عن الدخول لمكة و قاضوهم على دخولها من قابل وكان الصد والقضاء في شهر حرام وهو ذو القعدة فيكون هذا بهذا فيكون فيه تطييب لقلوب الصحابة بتمام نسكهم و كماله.

2–و يحتمل أن يكون المعنى:–إنكم إن قاتلتموهم في الشهر الحرام فقد قاتلوكم فيه و هم المعتدون فليس عليكم في ذلك حرج

و على هذا فيكون قوله: (وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ)

من باب عطف العام على الخاص أى: كل شيء يحترم من شهر حرام أو بلد حرام أو إحرام

أو ما هو أعم من ذلك جميع ما أمر الشرع باحترامه فمن تجرأ عليها فإنه يقتص منه

فمن قاتل في الشهر الحرام قوتل و من هتك البلد الحرام أخذ منه الحد ولم يكن له حرمة

و من قتل مكافئا له قتل به و من جرحه أو قطع عضوا منه اقتص منه و من أخذ مال غيره المحترم أخذ منه بدله

(وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ)الذى يعتدى على ما حَرَّم الله من المكان و الزمان يُعاقب بمثل فعله و من جنس عمله.

ولكن هل لصاحب الحق أن يأخذ من ماله بقدر حقه أم لا؟خـــــلاف بين العلماء الراجـــــح من ذلك:–

أنه إن كان سبب الحق ظاهرا كالضيف إذا لم يقره غيره و الزوجة و القريب إذا امتنع من تجب عليه النفقة من الإنفاق عليه فإنه يجوز أخذه من ماله.

و إن كان السبب خفيا كمن جحد دين غيره أو خانه في وديعة أو سرق منه ونحو ذلك فإنه لا يجوز له أن يأخذ من ماله مقابلة له جمعا بين الأدلة ولهذا قال تعالى تأكيدا وتقوية لما تقدم:

(فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ)أمْر بِالْعَدْلِ حَتَّى فِي الْمُشْرِكِينَ كَمَا قَالَ:

{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} [النَّحْلِ: 126] وَ قَالَ:{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشُّورَى: 40]

–هذا تفسير لصفة المقاصة وأنها هي المماثلة في مقابلة المعتدي.

(وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ)و لما كانت النفوس –فى الغالب– لا تقف على حدها إذا رُخص لها في المعاقبة لطلبها التشفى

أمر تعالى بلزوم تقواه التي هي الوقوف عند حدوده وعدم تجاوزها (وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ)

و أخبر تعالى أنه (مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ)بالعـــــون والنصـــــر والتـــــأييد والتـــــوفيق.

ومن كان الله معه حصل له السعادة الأبدية ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه وخذله

فوكله إلى نفسه فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد194

(وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ)يأمر تعالى عباده بالنفقة فى سبيله و هو إخراج الأموال في الطرق الموصلة إلى الله

و هى كل طرق الخير من صدقة على مسكين أو قريب أو إنفاق على من تجب مؤنته.

و أعظم ذلك و أول ما دخل في ذلك الإنفاق في الجهاد فى سبيل الله فإن النفقة فيه جهاد بالمال

هو فرض كالجهاد بالبدن و فيها من المصالح العظيمة الإعانة على تقوية المسلمين و على توهية الشرك وأهله

و على إقامة دين الله و إعزازه فالجهاد في سبيل الله لا يقوم إلا على ساق النفقة فالنفقة له كالروح لا يمكن وجوده بدونها

و في ترك الإنفاق في سبيل الله :–إبطال للجهاد و تسليط للأعداء و شدة تكالبهم فيكون قوله تعالى:-

(وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ)كالتعليل لذلك و الإلقاء باليد إلى التهلكة يرجع إلى أمرين:–

1–ترك ما أُمر به العبد إذا كان تركه موجبا أو مقاربا لهلاك البدن أو الروح وفعل ما هو سبب موصل إلى تلف النفس أو الروح فيدخل تحت ذلك أمور كثيرة فمن ذلك

☼ترك الجهاد في سبيل الله أو النفقة فيه الموجب لتسلط الأعداء

☼ومن ذلك تغرير الإنسان بنفسه في مقاتلة أو سفر مخوف أو محل مسبعة أو حيات أو يصعد شجرا أو بنيانا خطرا

☼أو يدخل تحت شيء فيه خطر ونحو ذلك فهذا ونحوه ممن ألقى بيده إلى التهلكة.

2–و من الإلقاء باليد إلى التهلكة الإقامة على معاصي الله واليأس من التوبة و منها ترك ما أمر الله به من الفرائض التي في تركها هلاك للروح والدين.

و عن النعمان بن بشير ﷺفي قوله:{وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}

قال:كان الرجل يذنب فيقول لا يغفر الله لي فأنزل الله تعالى:{وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}

*الصحيح المسند من أسباب النزول:البخارى 4516 -عَنْ حُذَيْفَةَ{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة: 195] قَالَ: «نَزَلَتْ فِي النَّفَقَةِ»

*سنن الترمذى 2972 - عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ التُّجِيبِيِّﷺقَالَ:

كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرُّومِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَرُ وَ عَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ وَعَلَى الجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ

حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ فَصَاحَ النَّاسُ و قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ.فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّﷺ فَقَالَ:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتُؤَوِّلُونَ هَذِهِ الآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ

وَ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةَ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الإِسْلَامَ وَ كَثُرَ نَاصِرُوهُ

فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:-إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ وَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الإِسْلَامَ وَ كَثُرَ نَاصِرُوهُ

فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا.فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺيَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا:

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ[البقرة: 195]

فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَ إِصْلَاحِهَا وَ تَرْكَنَا الغَزْوَ

«فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ»

*و فى مجمع الزوائد ج6 ص317 و عن أبي جبيرة بن الضحاك

قال كانت الأنصار يتصدقون و يعطون ما شاء الله فأصابتهم مصيبة فأمسكوا فأنزل الله عز وجل:-

{وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}

رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح وزاد في الأوسط{وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

قال الوادعي: لا داعي لإلغاء الروايتين أعني رواية النعمان والبراء مع صحتهما فالآية تشمل من ترك الجهاد وبخل وتشمل من أذنب وظن أن الله لا يغفر له ولا مانع من أن تكون الآية نزلت في الجميع

–و لما كانت النفقة في سبيل الله نوعا من أنواع الإحسان أمر بالإحسان عموما فقال:–

﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾و هذا يشمل جميع أنواع الإحسان لأنه لم يقيده بشيء دون شيء

1–فيدخل فيه الإحسان بالمال كما تقدم. 2–و يدخل فيه الإحسان بالجاه بالشفاعات و نحو ذلك

3–و يدخل في ذلك الإحسان بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر 4– و تعليم العلم النافع

5–و يدخل في ذلك قضاء حوائج الناس من تفريج كرباتهم و إزالة شداتهم و عيادة مرضاهم و تشييع جنائزهم و إرشاد ضالهم و إعانة من يعمل عملا و العمل لمن لا يحسن العمل ......

6–و يدخل في الإحسان أيضا الإحسان في عبادة الله تعالى و هو كما ذكر النبي ﷺ:–

«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »فمن اتصف بهذه الصفات كان من الذين قال الله فيهم:

﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾يونس: ٢٦ و كان الله معه يسدده و يرشده و يعينه على كل أموره ﴿١٩٥﴾

–يستدل بقوله تعالى:﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ﴾ على أمـــــــور: –

أحدها: وجوب الحج والعمرة وفرضيتهما الثانى: وجوب إتمامهما بأركانهما و واجباتهما

التي قد دل عليها فعل النبي ﷺو قوله:« خذوا عني مناسككم »

الثالث:أن فيه حجة لمن قال بوجوب العمرة الرابع:أن الحج والعمرة يجب إتمامهما بالشروع فيهما ولو كانا نفلا

الخامس:الأمر بإتقانهما وإحسانهما وهذا قدر زائد على فعل ما يلزم لهما

السادس:وفيه الأمر بإخلاصهما لله تعالى السابع: أنه لا يخرج المحرم بهما بشيء من الأشياء حتى يكملهما

إلا بما استثناه الله و هو الحصر فلهذا قال: ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ﴾

منعتم من الوصول إلى البيت لتكميلهما بمرض أو ضلالة أو عدو و نحو ذلك من أنواع الحصر الذي هو المنع.

*البخارى5089 -عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺعَلَى ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ(بنت الزبير بن عبد المطلب بنت عم رسول الله)
فَقَالَ لَهَا: «لَعَلَّكِ أَرَدْتِ الحَجَّ؟» قَالَتْ: وَاللَّهِ لاَ أَجِدُنِي إِلَّا وَجِعَةً فَقَالَ لَهَا:
حُجِّي وَاشْتَرِطِي وَقُولِي:اللَّهُمَّ مَحِلِّي(مكان تحلل من الحرام)حَيْثُ حَبَسْتَنِى(المكان الذي قدرت لي فيه الإصابة بعلة المرض وعجزت عن الإتيان بالمناسك)"
وَ كَانَتْ تَحْتَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ
(زوجة له أي وهذا يدل على أن الكفاءة ليست معتبرة بالنسب وإلا لما جاز للمقداد أن يتزوج ضباعة وهي بنت أشراف القوم وهو كان حليفا متبنى)

﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ﴾

أى:فاذبحوا ما استيسر من الهدي و هو سبع بدنة أو سبع بقرة أو شاة يذبحها المحصر و يحلق

و يحل من إحرامه بسبب الحصر كما فعل النبي ﷺ لمَّا صدهم المشركون عام الحديبية

فإن لم يجد الهدى فليصم بدله عشرة أيام كما في المتمتع ثم يحل.

ثم قال تعالى:﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ﴾

و هذا من محظورات الإحرام إزالـــــــة الشعر بحلق أو غيره لأن المعنى واحد من الرأس أو من البدن

لأن المقصود من ذلك حصول الشعث و المنع من الترفه بإزالته و هو موجود في بقية الشعر.

و قاس كثير من العلماء على إزالة الشعر تقـليم الأظفار بجامع الترفه

و يستمر المنع مما ذكر حتى يبلغ الهدي محله و هو يوم النحر و الأفضل أن يكون الحلق بعد النحر كما تدل عليه الآية.

و يستـــــدل بهذه الآية:-

على أن المتمتع إذا ساق الهدى لم يتحلل من عمرته قبل يوم النحر

فإذا طاف و سعى للعمرة أحرم بالحجو لم يكن له إحلال بسبب سوق الهدى

و إنما منع تبارك وتعالى من ذلك لما فيه من الذل و الخضوع لله و الانكسار له و التواضع الذى هو عين مصلحة العبد و ليس عليه في ذلك من ضرر

(فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ)

*الصحيح المسند من أسباب النزول:-البخارى1815 عن كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:-

وَقَفَ عَلَيَّ رَسُولُ ﷺ بِالحُدَيْبِيَةِ وَ رَأْسِي يَتَهَافَتُ قَمْلًا(يتساقط منه القمل شيئا فشيئا) فَقَالَ: «يُؤْذِيكَ هَوَامُّكَ؟»

قُلْتُ:-نَعَمْ قَالَ:-فَاحْلِقْ رَأْسَكَ أَوْ-قَالَ:-احْلِقْ-قَالَ:فِيَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ{فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ}

[البقرة: 196] إِلَى آخِرِهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ أَوْ تَصَدَّقْ بِفَرَقٍ(مكيال كان معروفا في المدينة ويساوي تسعة ألتار تقريبا)

بَيْنَ سِتَّةٍ أَوْ انْسُكْ بِمَا تَيَسَّرَ»و فى رواية أخرى

[صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ وَ احْلِقْ رَأْسَكَ»

فَنَزَلَتْ فِيَّ خَاصَّةً وَ هِيَ لَكُمْ عَامَّةً(البخارى4517)]

*مَذْهَبُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَعَامَّةُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ يُخَيَّرُ فِي هَذَا الْمَقَامِ :-

1-إِنْ شَاءَ صَامَ وَ إِنْ شَاءَ تَصَدَّقَ بِفَرَقٍ وَ هُوَ ثَلَاثَةُ آصُعٍ لِكُلِّ مِسْكِينٍ نصفُ صَاعٍ وَ هُوَ مُدّان

2-وَ إِنْ شَاءَ ذَبَحَ شَاةً وَ تَصَدَّقَ بِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ أَيَّ ذَلِكَ فَعَلَ أَجْزَأَهُ.

-فإذا حصل الضرر بأن كان به أذى من مرض ينتفع بحلق رأسه له أو قروح أو قمل ونحو ذلك فإنه يحل له أن يحلق رأسه

-و لكن يكون عليه فـــــدية من:-

1-صيــــــام ثلاثة أيام 2-أو صــــــدقة على ستة مساكين 3- أو نســـــك ما يجزئ في أضحية فهو مخير والنســــك أفضل فالصــــدقة فالصيـــــام.

و مثل هذا كل ما كان في معنى ذلك:-من تقليم الأظفار أو تغطية الرأس أو لبس المخيط أو الطيب فإنه يجوز عند الضرورة مع وجوب الفدية المذكورة لأن القصد من الجميع إزالة ما به يترفه.

(فَإِذَآ أَمِنتُمۡ)بأن قدرتم على البيت من غير مانع عدو وغيره

(فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ)بأن توصل بها إليه وانتفع بتمتعه بعد الفراغ منها.

(فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ)فعليه ما تيسر من الهدي وهو ما يجزئ في أضحية

و هذا دم نسك مقابلة لحصول النسكين له في سَفْرةٍ واحدة و لإنعام الله عليه بحصول الانتفاع بالمتعة بعد فراغ العمرة و قبل الشروع في الحج و مثلها القِران لحصول النسكين له.

و يـــــدل مفهـــــوم الآيـــــة على:-

1-أن المفرد للحج ليس عليه هدى 2-و دلت الآية على جواز بل فضيلة المتعة

3-و على جواز فعلها في أشهر الحج (فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ)الهدى أو ثمنه

(فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ)أول جوازها من حين الإحرام بالعمرة و آخرها ثلاثة أيام بعد النحر أيام رمى الجمار و المبيت بـــــ« منى »ولكن الأفضل منها أن يصوم السابع و الثامن و التاسع ( )

(وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ)أى فرغتم من أعمال الحج فيجوز فعلها في مكة و فى الطريق و عند وصوله إلى أهله.

(تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ)المذكور من وجوب الهدي على المتمتع

(لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ)بأن كان عند مسافة قصر فأكثر أو بعيدا عنه عرفات فهذا الذي يجب عليه الهدي لحصول النسكين له في سفر واحد

و أما من كان أهله من حاضري المسجد الحرام فليس عليه هدي لعدم الموجب لذلك.

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)في جميع أموركم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ومن ذلك امتثالكم لهذه المأمورات واجتناب هذه المحظورات المذكورة فى هذه الآية.

(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ)لمن عصاه و هذا هو الموجب للتقوى

فإن من خاف عقاب الله ← انكف عما يوجب العقاب

كما أن من رجا ثواب الله ← عمل لما يوصله إلى الثواب

و أما من لم يخف العقاب و لم يرج الثواب ← اقتحم المحارم و تجرأ على ترك الواجبات 196

قال الشيخ العدوي:-و اذا لم يستطع صيامها صامها أيام التشريق (11-12-13)من شهر ذي الحجة للترخيص الوارد فى ذلك و الله أعلم

ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ
وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾
لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ
فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ
لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ
﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ
فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾
وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

(ٱلۡحَجُّ)واقع فى (أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ)عند المخاطبين مشهورات بحيث لا تحتاج إلى تخصيص
كما احتاج الصيام إلى تعيين شهره و كما بين تعالى أوقات الصلوات الخمس.
و أما الحج فقد كان من ملة إبراهيم التي لم تزل مستمرة في ذريته معروفة بينهم.
و المراد بالأشهر المعلومات عند جمهور العلماء:-
1- شـــوال 2-و ذو القعـــدة 3-و عشر من ذي الحجـــة فهى التي يقع فيها الإحرام بالحج غالبا.
(فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ)أحرم به لأن الشروع فيه يصيره فرضا و لو كان نفلا.
(فَلَا رَفَثَ)و هو الجماع و مقدماته[الفعـلية و القـولية] خصوصا عند النساء بحضرتهن مِنَ:-
الْمُبَاشَرَةِ وَالتَّقْبِيلِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ وَ كَذَا التَّكَلُّمُ بِهِ بِحَضْرَةِ النِّسَاءِ.
(وَلَا فُسُوقَ)و الفسوق و هو: جميع المعاصي و منها محظورات الإحرام-الفسوقُ هَا هُنَا السِّبَابُ
(وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ)و الجـــدال و هو: الممـــــاراة والمنـــــازعة والمخـــــاصمة
لكونها تثـــــير الشر وتـــــوقع العداوة.
-و المقصـــــود من الحـــــج:-
1- الـذل و الانكسار لله 2-و التقرب إليه بما أمكن من القربات 3-و التنـزه عن مقارفة السيئات
فإنه بذلك يكون مبرورا والمبرور ليس له جزاء إلا الجنة و هذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان

فإنها يتغلظ المنع عنها في الحج.

و اعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله بترك المعاصي حتى يفعل الأوامر و لهذا قال تعالى:-

(وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ)

أتى بـ « من » لتنصيص على العموم فكل خير وقربة وعبادة داخل في ذلك أي: فإن الله به عليم

وهذا يتضمن غاية الحث على أفعال الخير وخصوصا في تلك البقاع الشريفة والحرمات المنيفة

فإنه ينبغي تدارك ما أمكن تداركه فيها من[صلاة و صيام و صدقة و طواف و إحسان قولي و فعلي].

(وَتَزَوَّدُواْ)أمر تعالى بالتزود لهذا السفر المبارك فإن التزود فيه الاستغناء عن المخلوقين والكف عن أموالهم

-البخارى1523عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:كَانَ أَهْلُ اليَمَنِ يَحُجُّونَ وَلاَ يَتَزَوَّدُونَ وَيَقُولُونَ:-

نَحْنُ المُتَوَكِّلُونَ فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} [البقرة: 197]

(فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ)

هو هو الزاد الحقيقى الذى هو زاد إلى دار القرار و هو الموصل لأكمل لذة و أجل نعيم دائم أبدا

(وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ)

يا أهل العقول الرزينة اتقوا ربكم الذي تقواه أعظم ما تأمر به العقول و تركها دليل على الجهل و فساد الرأى197

(لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ)إثم

(أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا)

منسوبا إلى فضل الله لا منسوبا إلى حذق العبد و الوقوف مع السبب ونسيان المُسَبِبِ فإن هذا هو الحرج بعينه

(مِّن رَّبِّكُمۡۚ)بالتكسب في مواسم الحج و غيره ليس فيه حرج إذا لم:-

1-يشغل عما يجب إذا كان المقصود هو الحج2-و كان الكسب حلالا.

*الصحيح المسند من أسباب النزول:صحيح البخاري 2050 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

"كَانَتْ عُكَاظٌ وَ مَجَنَّةُ وَ ذُو المَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا كَانَ الإِسْلاَمُ فَكَأَنَّهُمْ تَأَثَّمُوا فِيهِ فَنَزَلَتْ:

{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} [البقرة: 198]فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ " قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ

(فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ)

(ٱلۡمَشۡعَرِ)المعالم الظاهرة و انما سميت المزدلفة بالمشعر (ٱلۡحَرَامِ)لانها داخل الحرم

-دلالـــــة على أمور: -

أحدها:الوقوف بعرفة وأنه كان معروفا أنه ركن من أركان الحج فالإفاضة من عرفات لا تكون إلا بعد الوقوف.

الثانى:الأمر بذكر الله عند المشعر الحرام وهو المزدلفة وذلك أيضا معروف يكون ليلة النحر بائتا بها وبعد صلاة

الفجر يقف في المزدلفة داعيا حتى يسفر جدا و يدخل في ذكر الله عنده إيقاع الفرائض و النوافل فيه.

الثالث:أن الوقوف بمزدلفة متأخر عن الوقوف بعرفة كما تدل عليه الفاء والترتيب.

الرابع و الخامس: أن عرفات و مزدلفة كلاهما من مشاعر الحج المقصود فعلها و إظهارها.

السادس: أن مزدلفة في الحرم كما قيده بالحرام.السابع: أن عرفة في الحل كما هو مفهوم التقييد بـ « مزدلفة »

*سنن الترمذى2975 عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
" الحَجُّ عَرَفَاتٌ الحَجُّ عَرَفَاتٌ الحَجُّ عَرَفَاتٌ أَيَّامُ مِنًى ثَلَاثٌ{فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ}
[البقرة: 203] وَمَنْ أَدْرَكَ عَرَفَةَ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ الفَجْرُ فَقَدْ أَدْرَكَ الحَجَّ "

*وَ وَقْتُ الْوُقُوفِ مِنَ الزَّوَالِ يومَ عَرَفَةَ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺوَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بَعْدَ أَنْ صَلَّى الظُّهْرَ إِلَى أَنْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَقَالَ: "لتأْخُذوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ"
*وَ ذَهَبَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ إِلَى أَنَّ وَقْتَ الْوُقُوفِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمِ عَرَفة.وَ احْتَجُّوا بِحَدِيثِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ مُضَرِّس بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَامِ الطَّائِيِّ

*أبو داود 1950-عن عُرْوَةُ بْنُ مُضَرِّسٍ الطَّائِيُّ رضي الله عنه قَالَ:أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْمَوْقِفِ يَعْنِي بِجَمْعٍ قُلْتُ:جِئْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ جَبَلِ طَيِّئٍ أَكْلَلْتُ مَطِيَّتِي وَ أَتْعَبْتُ نَفْسِي وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُ مِنْ حَبْلٍ إِلَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فَهَلْ لِي مِنْ حَجٍّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَنْ أَدْرَكَ مَعَنَا هَذِهِ الصَّلَاةَ وَأَتَى عَرَفَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ وَقَضَى تَفَثَهُ»

(وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ)كما منّ عليكم بالهداية بعد الضلال و كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون

فهذه من أكبر النعم التي يجب شكرها و مقابلتها بذكر المنعم بالقلب و اللسان.

(وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ)مِنْ قَبْلِ هَذَا الْهَدْيِ وَ قَبْلَ الْقُرْآنِ وَقَبْلَ الرَّسُولِ198

(ثُمَّ)هَاهُنَا لِعَطْفِ خَبَرٍ عَلَى خَبَرٍ وَ تَرْتِيبِهِ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ تعَالَى أَمَرَ الْوَاقِفَ بِعَرَفَاتٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ لِيَذْكُرَ اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَ أَمَرَهُ أَنْ يَكُونَ وُقُوفُهُ مَعَ جُمْهُورِ النَّاسِ بِعَرَفَاتٍ
كَمَا كَانَ جُمْهُورُ النَّاسِ يَصْنَعُونَ يَقِفُونَ بِهَا إِلَّا قُرَيْشًا فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَخْرُجُونَ مِنَ الْحَرَمِ
فَيَقِفُونَ فِي طَرَفِ الْحَرَمِ عِنْدَ أَدْنَى الحِل وَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ اللَّهِ فِي بَلَدَتِهِ وقُطَّانُ بَيْتِهِ.

(أَفِيضُواْ)من مزدلفة

(مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ)من لدن إبراهيم عليه السلامإلى الآن

و المقصود من هذه الإفاضة كان معروفا عندهم و هـــــــو:-

1-رمي الجمار 2-و ذبح الهدايا 3-و الطواف 4-و السعى5-و المبيت بـ « منى » ليالى التشريق

6-و تكميل باقى المناسك.

*الصحيح المسند من أسباب النزول:البخارى1665عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ عُرْوَةُ رضي الله عنه:-

«كَانَ النَّاسُ يَطُوفُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ عُرَاةً إِلَّا الحُمْسَ وَالحُمْسُ قُرَيْشٌ وَمَا وَلَدَتْ وَكَانَتِ الحُمْسُ يَحْتَسِبُونَ عَلَى النَّاسِ(يعطونهم حسبة بدون مقابل) يُعْطِي الرَّجُلُ الرَّجُلَ الثِّيَابَ يَطُوفُ فِيهَا وَ تُعْطِي المَرْأَةُ المَرْأَةَ الثِّيَابَ تَطُوفُ فِيهَا فَمَنْ لَمْ يُعْطِهِ الحُمْسُ طَافَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا وَ كَانَ يُفِيضُ جَمَاعَةُ النَّاسِ مِنْ عَرَفَاتٍ وَيُفِيضُ الحُمْسُ مِنْ جَمْعٍ»قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا "أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي الحُمْسِ: {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} [البقرة: 199] قَالَ: كَانُوا يُفِيضُونَ مِنْ جَمْعٍ فَدُفِعُوا إِلَى عَرَفَاتٍ "

(وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)كَثِيرًا مَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِذِكْرِهِ بَعْدَ قَضَاءِ الْعِبَادَاتِ كما فى مسلم:-

عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا199

(فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ)

و لما كانت هذه الإفاضة يقصد بها ما ذكر و المذكورات آخر المناسك أمر تعالى عند الفراغ منها باستغفاره و الإكثار من ذكره فالاستغفار للخلل الواقع من العبد في أداء عبادته و تقصيره فيها و ذكر الله شكر الله على إنعامه عليه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة و المنة الجسيمة.

-و هكذا ينبغى للعبد كلما فـــــرغ من عبادة أن:-

1-يستغفــــــر الله عن التقصيـــــر 2-و يشكـــــره على التوفيـــــق

-لا كمن يرى أنه قد أكمل العبادة و مَنَّ بها على ربه و جعلت له محلا و منزلة رفيعة فهذا حقيق بالمقت و رد الفعل كما أن الأول حقيق بالقبول و التوفيق لأعمال أخر.

(كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ)كَقَوْلِ الصَّبِيِّ:"أَبَهْ أَمَّهْ" يَعْنِي:كَمَا يَلْهَجُ الصَّبِيُّ بِذِكْرِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ فَالْهَجُوا بِذِكْرِ اللَّهِ بَعْدَ قَضَاءِ النُّسُكِ.

(وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا)و ذَمَّ مَنْ لَا يَسْأَلُهُ إِلَّا فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ

(وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ) نصيب لرغبته عنها و قصر همته على الدنيا وَ هُوَ مُعْرِضٌ عَنْ أُخْرَاهُ200

(وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ)و منهم من يدعو الله و يفتقر إليه

و فى هذه الآية دليل على أن:-

-الله يجيب دعوة كل داع مسلما أو كافرا أو فاسقا

-و لكن ليست إجابته دعاء من دعاه دليلا على محبته له و قربه منه[إلا في مطالب الآخرة و مهمات الدين].

(ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً) يدخل فيها كل ما يَحْسُن وقعه عند العبد من:-

1-رزق هنـــــىء واسع حلال 2-و زوجــــــة صالحة 3-و ولــــــد تقر به العين 4-و راحـــــة

5-و علـــــم نافع 6-و عمـــــل صالح و نحو ذلك من المطالب المحبوبة و المباحة.

(وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً) هـــــى:-

1-السلامة من العقوبات في [القبر والموقف والنار]-الْأَمْنِ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ فى العَرَصات

2-وَ تَيْسِيرِ الْحِسَابِ 3-و حصول رضا الله 4-و الفوز بالنعيم المقيم 5-و القرب من الرب الرحيم

فصار هذا الدعاء أجمع دعاء وأكمله و أولاه بالإيثار و لهذا كان النبي ﷺيكثر من الدعاء به و الحث عليه.

(وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ)وَ أَمَّا النَّجَـــــاةُ مِنَ النَّارِ فَهُوَ يَقْتَضِي تَيْسِيرَ أَسْبَابِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ:-

1-اجْتِنَـــــــــــــابِ الْمَحَـــــــــــــارِمِ وَ الْآثَـــــــــامِ

2-وَ تَـــــــــــــرْكِ الشُّبَهَـــــــــــــاتِ وَ الْحَـــــــرَامِ.

*مسلم 688 عَنْ أَنَسٍ ﷺأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ﷺ:«هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟ »قَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أَقُولُ:

اللهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

سُبْحَانَ اللهِ لَا تُطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ:

اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ "قَالَ: فَدَعَا اللهُ لَهُ فَشَفَاهُ 201

(أُوْلَـٰٓئِكَ)الداعون بهذا الدعاء (لَهُمۡ نَصِيبٞ) ثواب عظيم

(مِّمَّا كَسَبُواْۚ)بسبب ما كسبوه من الأعمال الصالحة.

(وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ)فيعجل لهم تقديم الثواب و هو الجنة -مُحْصٍ أعمال عباده و مجازيهم بها 202

۞وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ
لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ
فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ
فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ
وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ
فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٠٩ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠

(وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ)

1-ذِكْرُ اللَّهِ عَلَى الْأَضَاحِيِّ

2-الذكر المقيد عقب الفرائض

3-وَ الذكر الْمُطْلَق فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ.

4-وَ فِي وَقْتِهِ أَقْوَالٌ لِلْعُلَمَاءِ وَ أَشْهَرُهَا الذي عَلَيْهِ الْعَمَلُ أَنَّه:-
مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ يَوْمَ عَرَفَةَ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنْ آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَ هُوَ آخِرُ النَّفْر الآخِر.

5-يدخل فى ذكر الله فيها ذكره عند رمى الجمار و عند الذبح

6-يستحب فيها التكبير المطلق كالعشر

(فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ)هى أيام التشريق(لأنَّ الهَدْيَ لا يُنْحَرُ حتى تَشْرُقَ الشمسُ) الثلاثةبعد العيد لمزيتهـــــا و شرفهـــــا :-

1-كون بقية أحكام المناسك تفعل بها 2-كون الناس أضيافا لله فيها

*و لهذا حرم صيامها فللذكر فيها مزية ليست لغيرها و لهذا قال النبي ﷺ في صحيح مسلم:-

1141- عَنْ نُبَيْشَةَ الْهُذَلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ«أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ»

*البخارى جاء في (بَابُ التَّكْبِيرِ أَيَّامَ مِنًى وَإِذَا غَدَا إِلَى عَرَفَةَ)وَ كَانَ عُمَـرُ رضي الله عنه
«يُكَبِّرُ فِي قُبَّتِهِ بِمِنًى فَيَسْمَعُهُ أَهْلُ المَسْجِدِ فَيُكَبِّرُونَ وَيُكَبِّرُ أَهْلُ الأَسْوَاقِ حَتَّى تَرْتَجَّ مِنًى تَكْبِيرًا»
وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ «يُكَبِّرُ بِمِنًى تِلْكَ الأَيَّامَ وَخَلْفَ الصَّلَوَاتِ وَعَلَى فِرَاشِهِ وَ فِي فُسْطَاطِهِ(بيت من شعر ونحوه وربما كان له أورقة حوله وعند بابه) وَ مَجْلِسِهِ وَ مَمْشَاهُ تِلْكَ الأَيَّامَ جَمِيعًا»وَ كَانَتْ مَيْمُونَةُ: «تُكَبِّرُ يَوْمَ النَّحْرِ»
-وَ كُنَّ «النِّسَاءُ يُكَبِّرْنَ (تكبير النساء هذا مشروط بعدم ارتفاع الصوت وتليينه والتكسر فيه حتى لاتقع فتنة)خَلْفَ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ

وَ عُمَر بْن عَبْدِ العَزِيز لَيَالَى التَّشْرِيق مَعَ الرِّجَالِ فِي المَسْجِد»
وَيَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ أَيْضًا التكبيرُ وَذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَ رَمْيِ الْجَمَرَاتِ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيق

(فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ)خرج من « منى » و نفر منها قبل غروب شمس اليوم الثانى

(فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ)بأن بات بها ليلة الثالث ورمى من الغد

(فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ)هذا تخفيف من الله تعالى على عباده فى إبـاحة كلا الأمرين

و لكن من المعلوم أنه إذا أبيح كلا الأمرين فالمتأخر أفضل لأنه أكثـــــــر عبادة.

و لما كان نفي الحرج قد يُفْهمُ منه نفي الحرج في ذلك المذكور و في غيره و الحاصل أن الحرج منفي عن

المتقدم والمتأخر فقط قيده بقوله:(لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ)اتقى الله في جميع أموره و أحوال الحج

فمن اتقى الله فى كل شيء ⇦ حصل له نفي الحرج في كل شيء

و من اتقاه في شيء دون شيء ⇦ كان الجزاء من جنس العمل.

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)بامتثال أوامره و اجتناب معاصيه
*وَ لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى النَّفر الْأَوَّلَ وَ الثَّانِيَ وَهُوَ تَفَرُّقُ النَّاسِ مِنْ مَوْسِمِ الْحَجِّ إِلَى سَائِرِ الْأَقَالِيمِ وَ الْآفَاقِ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِمْ فِي الْمَشَاعِرِ وَ الْمَوَاقِفِ قال:-

(وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)تَجْتَمِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَة فمجازيكم بأعمالكم

فالعلم بالجزاء من أعظم الدواعى لتقوى الله فلهذا حث تعالى على العلم بذلك203

*لما أمر تعالى بالإكثار من ذكره وخصوصا في الأوقات الفاضلة الذي هو خير ومصلحة و بر أخبر تعالى بحال من يتكلم بلسانه ويخالف فعله قوله فالكلام إما أن يرفع الإنسان أو يخفضه فقال:

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا)
*أَنَّهُ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ الْإِسْلَامَ ويبارزُ اللَّهَ بِمَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ كَقَوْلِه{يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ} [النِّسَاءِ: 108]
*أَنَّهُ إِذَا أَظْهَرَ لِلنَّاسِ الْإِسْلَامَ حَلَفَ وَ أَشْهَدَ اللَّهَ لَهُمْ:-أَنَّ الذي فِي قَلْبِهِ مُوَافِقٌ لِلِسَانِه.
أي:إذا تكلم راق كلامه للسامع و إذا نطق ظننته يتكلم بكلام نافع و يؤكد ما يقول ((بأن من صفته))

(وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ)بأن يخبر أن الله يعلم أن ما في قلبه موافق لما نطق به و هو كاذب في ذلك

[لأنه يخالف قوله فعله] .

فلو كان صادقا لتوافق القول والفعل كحال المؤمن غير المنافق فلهذا قال:

(وَهُوَ أَلَدُّ)الألد هُوَ الْأَعْوَجُ كقوله {وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} [مَرْيَمَ:97]

(ٱلْخِصَامِ)وَ هَكَذَا الْمُنَافِقُ فِي حَالِ خُصُومَتِهِ يَكْذِبُ و يَزْوَرّ عَنِ الْحَقِّ وَ لَا يَسْتَقِيمُ مَعَهُ بَلْ يَفْتَرِي وَ يَفْجُرُ

كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ:
آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ".
*البخارى 4523 -عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها تَرْفَعُهُ قَالَ:«أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ»
إذا خاصمته وجدت فيه من اللــــدد و الصعـــوبة و التعصـــب

وما يترتب على ذلك ما هو من مقابح الصفات ليس كأخلاق المؤمنين الذين جعلوا السهولة مركبهم والانقياد للحق وظيفتهم و السماحة سجيتهم204

(وَإِذَا تَوَلَّىٰ)هذا الذى يعجبك قوله إذا حضر عندك

(سَعَىٰ)السَّعْيُ هَاهُنَا هُوَ: القَصْد كَمَا قَالَ إِخْبَارًا عَنْ فِرْعَوْنَ:{ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى}النازعات بخلاف السَّعْيَ الْحِسِّيَ

(فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا)يجتهد على أعمال المعاصي التي هى إفساد فى الأرض

(وَيُهْلِكَ)بسبب ذلك (ٱلْحَرْثَ)فالزروع و الثمار

(وَٱلنَّسْلَ)و المواشي تتلف و تنقص و تقل بركتها بسبب العمل في المعاصي

(وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ)

إذا كان لا يحب الفساد فهو يبغض العبد المفسد فى الأرض غاية البغض و إن قال بلسانه قولا حسنا.

ففى هذه الآية دليل على:-

1-أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص ليست دليلا على صدق و لا كذب ولا بر ولا فجور حتى يوجد العمل المصدق لها المزكي لها

2-و أنه ينبغي اختبار أحوال الشهود والمحق و المبطل من الناس بسبر أعمالهم و النظر لقرائن أحوالهم و أن لا يغتر بتمويههم و تزكيتهم أنفسهم205

(وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ)ثم ذكر أن هذا المفسد في الأرض بمعاصي الله إذا أمر بتقوى الله تكبر و أنف و (أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ)فيجمع بين العمل بالمعاصي و الكبر على الناصحين.

(فَحَسْبُهُۥ)تكفيه(جَهَنَّمُ)التي هي دار العاصين و المتكبرين

(وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ)المستقر و المسكن عذاب دائم و هم لا ينقطع و يأس مستمر لا يخفف عنهم العذاب و لا يرجون الثواب جزاء لجناياتهم ومقابلة لأعمالهم فعياذا بالله من أحوالهم206

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ
(يشرى :يبيع بخلاف كلمة يشترى كما أن يبتاع بمعنى يشترى بخلاف كلمة يبيع و هذا على الغالب)

*الصحيح المسند من أسباب النزول:الحاكم5700 - عَنْ عِكْرِمَةَ ﷺقَالَ:
لَمَّا خَرَجَ صُهَيْبٌ مُهَاجِرًا تَبِعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ فَنَثَلَ كِنَانَتَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهَا أَرْبَعِينَ سَهْمًا فَقَالَ:
«لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَضَعَ فِي كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ سَهْمًا ثُمَّ أَصِيرَ بَعْدُ إِلَى السَّيْفِ فَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَجُلٌ
وَ قَدْ خَلَّفْتُ بِمَكَّةَ قَيْنَتَيْنِ فَهُمَـــــا لَكُمْ» قَالَ: عَنْ أَنَسٍ - نَحْوَهُ -وَ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ:
{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ}فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺقَالَ:«أَبَا يَحْيَى رَبِحَ الْبَيْعُ»قَالَ:وَ تَلَا عَلَيْهِ الْآيَةَ
هم بذلوا الثمن للمليء الوفيّ الرءوف بالعباد الذي من رأفته و رحمته أن وفقهم لذلك و قد وعد الوفاء بذلك
فقال: (إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ) التوبة: ١١١

و فى هذه الآية :-

1-أخبر أنهم اشتروا أنفسهم و بذلوا

2-و أخبر برأفته الموجبة لتحصيل ما طلبوا و بذل ما به رغبوا ٢٠٧

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ)هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا

(فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ)فى جميع شـــــرائع الدين و لا يتركـــــوا منها شيئا

وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه إن وافق الأمر المشروع هواه فعله وإن خالفه تركه

⇦ بـــــل :-

1-الواجب أن يكون الهوى تبعا للدين

2-و أن يفعل كل ما يقدر عليه من أفعال الخير وما يعجز عنه يلتزمه وينويه فيدركه بنيته.

ولما كان الدخول في السلم كافة لا يمكن ولا يتصور إلا بمخالفة طرق الشيطان قال:

(وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ)فى العمل بمعاصى الله(إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ)البقرة: ١٦٩

(إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ)و العدو المبين لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء وما به الضرر عليكم 208

و لما كان العبد لا بد أن يقع منه خلل و زلل قال تعالى:

(فَإِن زَلَلۡتُم)أى على علم و يقين-عَدَلْتُمْ عَنِ الْحَقِّ (مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ)الحُجَجُ

(فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ)أَيْ فِي انْتِقَامِهِ لَا يَفُوتُهُ هَارِبٌ وَ لَا يَغلبه غَالِبٌ-عَزِيزٌ فِي نِقْمَتِهِ

(حَكِيمٌ)فِي أَحْكَامِهِ وَ نَقْضِهِ وَ إِبْرَامِهِ-حَكِيمٌ فِي أَمْرِهِ.

و فيه من الوعيد الشديد والتخويف ما يوجب[ترك الـزلل]فإن العزيز القاهر الحكيم إذا عصاه العاصي:-

1-قهـــــره بقوته 2-و عذبه بمقتضى حكـــــمته فإن من حكمته تعذيب العصاة و الجنا 209

(هَلۡ يَنظُرُونَ)

ينظر الساعون في الفساد في الأرض المتبعون لخطوات الشيطان النابذون لأمر الله بعد قيام الأدلة البينة

(إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ) على الوجه اللائق به يوم الجزاء على الاعمال و ذلك أن الله تعالى يطوى السماوات و الأرض و تنثر الكواكب و تكور الشمس والقمر و تنزل الملائكة الكرام فتحيط بالخلائق

و ينزل الباري تبارك تعالى:(فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ) السحاب و أن تأتى (وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ)

ليفصل الله بينهم بالقضاء العادل

(وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ)و حينئذ يقضى الله تعالى فيهم قضاءه

(وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ)و إليه وحده ترجع أمور الخلائق جميعها.

فتوضع الموازين و تنشر الدواوين وتبيض وجوه أهل السعادة و تسود وجوه أهل الشقاوة و يتميز أهل الخير من أهل الشر وكل يجازى بعمله فهنالك يعض الظالم على يديه إذا علم حقيقة ما هو عليه.

-وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة المثبتين للصفات الاختيارية

[كالاستواء والنزول والمجيء ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى]عن نفسه أو أخبر بها عنه رسوله ﷺ فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته من غير تشبيه ولا تحريف خلافا للمعطلة على اختلاف أنواعهم من [الجهمية والمعتزلة والأشعرية ونحوهم] ممن ينفي هذه الصفات ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله عليها من سلطان بل حقيقتها القدح في بيان الله وبيان رسوله والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي بل ولا دليل عقلي

أما النقـــــلي:-

فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة ظاهرها بل صريحها دال على مذهب أهل السنة والجماعة وأنها تحتاج لدلالتها على مذهبهم الباطل أن تخرج عن ظاهرها ويزاد فيها وينقص وهذا كما ترى لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وأما العقـــــل:-

فليس في العقل ما يدل على نفي هذه الصفات بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه قيل لهم:-الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات

-فكما أن لله ذاتا لا تشبهها الذوات فلله صفات لا تشبهها الصفات-فصفاته تبع لذاته وصفات خلقه تبع لذواتهم فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه.210

سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ
﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ
وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ
مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ
وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ
أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ
وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾

(سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ)حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى صِدْقِهِ و على صدق الرسل

1- كَيْدِهِ 2-وَ عَصَاهُ 3-و فَلْقه الْبَحْرَ 4-و ضَرْبه الْحَجَرَ 5-وَ مَا كَانَ مِنْ تَظْلِيلِ الْغَمَامِ عَلَيْهِمْ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ

6-وَ مِنْ إِنْزَالِ الْمَنّ وَ السَّلْوَى–فتيقنوها وعرفوها فلم يقوموا بشكر هذه النعمة التي تقتضي القيام بها.

(وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ)كُفْرًا أَي:اسْتَبْدَلُوا بِالْإِيمَانِ بِهَا الْكُفْرَ بِهَا وَ الْإِعْرَاضَ عَنْهَا

كقوله (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ) إبراهيم

(مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ)فلهذا استحقوا أن يُنَزِّل الله عليهم عقابه و يحرمهم من ثوابه

و سمى الله تعالى كفر النعمة تبديـــــــلا لها:–

–لأن من أنعم الله عليه نعمة دينية أو دنيوية فلم يشكرها و لم يقم بواجبها ⇦

اضمحلت عنه و ذهبت و تبدلت بالكفر و المعاصي فصار الكفر بدل النعمة

–و أما من شكر الله تعالى و قام بحقها⇦فإنها تثبت و تستمر و يزيده الله منها211

*يخبر تعالى أن الذين كفروا بالله وبآياته ورسله و لم ينقادوا لشرعه

(زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا)أنهم زينت لهم الحياة الدنيا فزينت في أعينهم وقلوبهم

*فـــــرضوا بها*و اطمـــــأنوا بها*و صارت أهــــــواؤهم و إراداتهم و أعمالهم كلها لها

*فأقبـلوا عليها*و أكبـوا على تحصيلها *و عظموها وعظموا من شاركهم في صنيعهم

(وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)و احتقروا المؤمنين

(وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ)الأنعام: ٥٣(هذه احد الاسباب المؤدية الي الكفر)

وهذا من ضعف عقولهم و نظرهم القاصر

*فإن الدنيا دار ابتلاء وامتحان وسيحصل الشقاء فيها لأهل الإيمان و الكفران

بل المؤمن في الدنيا و إن ناله مكروه⇦فإنه يصبر و يحتسب⇦فيخفف الله عنه بإيمانه و صبره ما لا يكون لغيره

و إنما الشأن كل الشأن والتفضيل الحقيقي في الدار الباقية فلهذا قال(وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ)

فيكون المتقون في أعلى الدرجات متمتعين بأنواع النعيم و السرور و البهجة و الحبور.

و الكفار تحتهم في أسفل الدركات معذبين بأنواع العذاب و الإهانة و الشقاء السرمدى الذى لا منتهى له

ففى هذه الآيـــــة:- تســـــلية للمؤمنين و نعــــى على الكافرين.

و لما كانت الأرزاق الدنيوية و الأخروية لا تحصل إلا بتقدير الله و لن تنال إلا بمشيئة الله قال تعالى:-

(وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ)مِنْ خَلْقه وَ يُعْطِيهِ عَطَاءً كَثِيراً جَزِيلًا(بِغَيۡرِ حِسَابٖ)بِلَا حَصْرٍ وَلَا تَعْدَادٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة

*البخارى 4684 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ

*فالرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر

*و أما رزق القلوب من العلم و الإيمان و محبة الله و خشيته و رجائه ونحو ذلك فلا يعطيها إلا من يحب212

(كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ)

1-كانوا مجتمعين على الهدى و ذلك عشرة قرون بعد نوح ﵇فلما اختلفوا في الدين فكفر فريق منهم

و بقى الفريق الآخر على الدين و حصل النزاع و بعث الله الرسل ليفصلوا بين الخلائق و يقيموا الحجة عليهم

*عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺقَالَ: كَانَ بَيْنَ نُوحٍ وَآدَمَ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ.
فَاخْتَلَفُوا فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا عَلَى مِلَّةِ آدَمَ﵇ حَتَّى عَبَدُوا الْأَصْنَامَ
فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نُوحًا ﵇ فَكَانَ أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ.

2-بل كانوا مجتمعين على الكفر و الضلال والشقاء ليس لهم نور و لا إيمان فرحمهم الله بإرسال الرسل إليهم

(فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ)من أطاع الله بثمرات الطاعات مــــــن:-

الرزق و القوة فى البدن و القلب و الحياة الطيبة و أعلى ذلك الفوز برضوان الله و الجنة.

(وَمُنذِرِينَ)من عصى الله بثمرات المعصية مــــــن :-

حرمان الرزق و الضعف و الإهانة و الحياة الضيقة و أشد ذلك:-[سخط الله و النار]

(وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ)و هو الإخبــــــارات الصادقة و الأوامــــــر العادلة

فكل ما اشتملت عليه الكتب فهو حق يفصل بين المختلفين في الأصول و الفروع

-و هذا هو الواجب عند الاختـــــلاف و التنـــــازع:-

أن يرد الاختلاف إلى الله و إلى رسوله و لولا أن في كتابه و سنة رسوله فصل النزاع لما أمر بالرد إليهما.

(لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ)

و لما ذكر نعمته العظيمة بإنزال الكتب على أهل الكتاب و كان هذا يقتضى اتفاقهم عليها و اجتماعهم فأخبر تعالى أنهم بغى بعضهم على بعض و حصل النزاع و الخصام و كثرة الاختلاف.

(وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ)فى أمر محمد ﷺ و كتابه(إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ)أعطاهم الله التوراة

(مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ)من الحجج و الأحكام

(بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ)ظلمًا و حسدًا

(فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)من هذه الأمة

*البخارى3486 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-

«نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْدَ كُلِّ أُمَّةٍ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَا مِنْ بَعْدِهِمْ فَهَذَا اليَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ فَغَدًا لِلْيَهُودِ وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى»

(لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ)ما حملهم علي ذلك الا البغى من بعضهم على بعض

-فكل ما اختلف فيه أهل الكتاب و أخطأوا فيه الحق والصواب هدى الله للحق فيه هذه الأمة

(بِإِذْنِهِۦۗ)تعالى و تيسيره لهم و رحمته.

(وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)

بفضله ورحمته وإعانته ولطفه – من شاء من عباده فهذا فضله وإحسانه وذاك عدله وحكمته.

فعمَّ الخلق تعالى بالدعوة إلى الصراط المستقيم عدلا منه تعالى وإقامة حجة على الخلق

(أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ)المائدة: ١٩ 213

(أَمْ حَسِبْتُمْ)بل أظننتم -أيها المؤمنون- (أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ)

(وَلَمَّا يَأْتِكُم)يصبكم من الابتلاء(مَّثَلُ)ما أصاب المؤمنين(ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ)الذين مضوا (مِن قَبْلِكُمۖ)

*البخارى 3612 - عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ ﷺ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟

قَالَ:«كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ

لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَ لَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ(النتائج والثمرات)

–يخبر تبارك وتعالى أنه لا بد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة كما فعل بمن قبلهم فهى سنته الجارية التي لا تتغير ولا تتبدل أن من قام بدينه وشرعه لا بد أن يبتليه

–فإن صبر على أمر الله ولم يبال بالمكاره الواقفة في سبيله:–

فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها و من السيادة آلتها.

–ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله بأن صدته المكاره عما هو بصدده و ثنته المحن عن مقصده :–

فهو الكاذب في دعوى الإيمان

✡فإنه ليس الإيمان بالتحلي و التمني و مجرد الدعاوى حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه.

فقد جرى على الأمم الأقدمين ما ذكر الله عنهم

(مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ)الفقر

(وَٱلضَّرَّآءُ)الأمراض في أبدانهم

(وَزُلۡزِلُواْ)بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل والنفى وأخذ الأموال و قتل الأحبة و اخافة الاعداء

–حتى وصلت بهم الحال و آل بهم الزلزال إلى أن استبطأوا نصر الله مع يقينهم به

و لكن لشدة الأمر و ضيقه (حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ)

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ و يَدْعون بقُرْب الْفَرَجِ وَ الْمَخْرَجِ عِنْدَ ضِيقِ الْحَالِ وَ الشِّدَّةِ.

فلما كان الفرج عند الشدة و كلما ضاق الأمر اتسع قال تعالى:(أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ)

(فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا)الشرح

فهكذا كل من قام بالحق فإنه يمتحن. فكلما اشتدت عليه و صعبت إذا صابر وثابر على ما هو عليه انقلبت المحنة في حقه منحة والمشقات راحات وأعقبه ذلك الانتصار على الأعداء وشفاء ما في قلبه من الداء

و هذه الآية نظير قوله تعالى:(أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ)آل عمران: ١٤٢

فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان

214 الاسرة و احكامها 215-242

(يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ)و هذا يعم السؤال عن المنفق والمنفق عليه فأجابهم عنهما فقال:

(قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ)مال قليل أو كثير

(فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ)الوالدين الأقربون على اختلاف طبقاتهم الأقرب فالأقرب على حسب القرب والحاجة فالإنفاق عليهم صدقة و صلة

(وَٱلْيَتَٰمَىٰ)و هم الصغار الذين لا كاسب لهم فهم في مظنة الحاجة لعدم قيامهم بمصالح أنفسهم وفقد الكاسب فوصى الله بهم العباد رحمة منه بهم و لطفا

(وَٱلْمَسَٰكِينِ)

و هم أهل الحاجات و أرباب الضرورات الذين أسكنتهم الحاجة فينفق عليهم لدفع حاجاتهم و إغنائهم.

(وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ)الغريب المنقطع به في غير بلده فيعان على سفره بالنفقة التي توصله إلى مقصده.

و لما خصص الله تعالى هؤلاء الأصناف لشدة الحاجة عمم تعالى فقال:-

(وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ)

من صدقة على هؤلاء وغيرهم بل ومن جميع أنواع الطاعات والقربات لأنها تدخل في اسم الخير

(فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ)

فيجازيكم عليه ويحفظه لكم كل على حسب نيته و إخلاصه و كثرة نفقته و قلتها و شدة الحاجة إليها و عظم وقعها و نفعها215

كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا
وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ
وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ
وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ
وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ
وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨
۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ
وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩

(كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ)

*مسلم1910عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَنْ مَاتَ وَ لَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»

هذه الآية فيها فرض القتال في سبيل الله بعد ما كان المؤمنون مأمورين بتركه لضعفهم وعدم احتمالهم لذلك فلما هاجر النبيﷺإلى المدينة و كثر المسلمون و قووا أمرهم الله تعالى بالقتال

(وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ)و أخبر أنه مكروه للنفوس لما فيه من التعب و المشقة و حصول أنواع المخاوف و المتالف و مع هذا فهو خير محض لما فيه من الثواب العظيم و التحرز من العقاب الأليم و النصر على الأعداء و الظفر بالغنائم و غير ذلك مما هو مرب على ما فيه من الكراهة

(وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ)

لِأَنَّ القتالَ يَعْقُبُهُ النَّصْرُ وَ الظَّفْرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَ الِاسْتِيلَاءُ عَلَى بِلَادِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ و ذراريهم وَ أَوْلَادِهِمْ.

(وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ)و ذلك مثل القعود عن الجهاد لطلب الراحة

فإنه شـــــر:-

-لأنه يعقب الخذلان

-و تســــلط الأعداء على الإسلام و أهله

-و حصول الذل و الهوان

-و فوات الأجر العظيم و حصول العقاب.

☼وهذه الآيات عامة مطردة فى أن أفعال الخير التي تكرهها النفوس لما فيها من المشقة أنها خير بلا شك

☼و أن أفعال الشر التي تحب النفوس لما تتوهمه فيها من الراحة و اللذة فهى شر بلا شك.

❍و أما أحوال الدنيا فليس الأمر مطردا و لكن الغالب على العبد المؤمن أنه إذا أحب أمرا من الأمور فقيض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير ⇦فالأوفق له في ذلك أن يشكر الله ويجعل الخير في الواقع

(وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ)

لأنه يعلم أن الله تعالى:-

1-أرحم بالعبد من نفسه

2-و أقدر على مصلحة عبده منه

3-و أعلم بمصلحته منه

فاللائق بكم أن تتمشوا مع أقداره سواء سرتكم أو ساءتكم 216

*و لما كان الأمر بالقتال لو لم يقيد لشمل الأشهر الحرم وغيرها استثنى تعالى القتال في الأشهر الحرم فقال:

(يَسۡـَٔلُونَكَ)يسألك المشركون-أيها الرسول-(عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ):-

(قِتَالٖ فِيهِۖ)هل يحل فيه القتال؟

(قُلۡ)لهم(قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ)القتال في الشهر الحرام عظيم عند الله استحلاله و سفك الدماء فيه

-الجمهور على أن تحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ بالأمر بقتال المشركين حيثما وجدوا

-و قال بعضهم:إنه لم ينسخ لأن المطلق محمول على المقيد و هذه الآية مقيدة لعموم الأمر بالقتال مطلقا

-و لأن من جملة مزية الأشهر الحرم بل أكبر مزاياها تحريم القتال فيها و هذا إنما هو في قتال الابتداء

-و أما قتال الدفع فإنه يجوز في الأشهر الحرم كما يجوز في البلد الحرام.

-و لما كانت هذه الآية نازلة بسبب ما حصل لسرية عبد الله بن جحش و قتلهم عمرو بن الحضرمى وأخذهم أموالهم و كان ذلك – على ما قيل – في شهر رجب عيرهم المشركون بالقتال بالأشهر الحرم وكانوا في تعييرهم ظالمين إذ فيهم من القبائح ما بعضه أعظم مما عيروا به المسلمين

قال تعالى في بيان ما فيهم:(وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)

*صد المشركين من يريد الإيمان بالله و برسوله و فتنتهم بالتعذيب و التخويف من آمن به و سعيهم في ردهم عن دينهم

(وَكُفۡرُۢ بِهِۦ)و كفرهم الحاصل في الشهر الحرام-و جحودكم بالله وبرسوله وبدينه

(وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ)و مَنْع المسلمين من دخول المسجد الحرام

(وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ)

النبي و المهاجرين منه وهم أهله وأولياؤه لأنهم أحق به من المشركين و هم عماره على الحقيقة

فأخرجوهم(مِنۡهُ)ذلك(أَكۡبَرُ) ذنبًا و أعظم جرمًا (عِندَ ٱللَّهِۚ)من القتال في الشهر الحرام.

(وَٱلۡفِتۡنَةُ)الشرك الذي أنتم فيه (أَكۡبَرُ)و أشد (مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ)في الشهر الحرام.

(وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ)لن يزالوا يقاتلون المؤمنين و ليس غرضهم في أموالهم و قتلهم

و إنما غرضهم(حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ)

أن يرجعوهم عن دينهم و يكونوا كفارا بعد إيمانهم حتى يكونوا من أصحاب السعير

(إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ)فهم باذلون قدرتهم في ذلك ساعون بما أمكنهم

*و هذا الوصف عام لكل الكفار لا يزالون يقاتلون غيرهم حتى يردوهم عن دينهم وخصوصا أهل الكتاب من اليهود و النصارى

*الـــــذين بـــــذلوا:–

–الجمعيـــــات

–و نشـــــروا الدعاة

–و بثـــــوا الأطباء

–و بنـــــوا المدارس

لجذب الأمم إلى دينهم و تدخيلهم عليهم كل ما يمكنهم من الشبه التي تشككهم في دينهم.

و لكن المرجو من الله تعالى الذي مَنّ على المؤمنين بالإسلام واختار لهم دينه القيم وأكمل لهم دينه أن :–

يتم عليهم نعمته بالقيام به أتم القيام وأن يخذل كل من أراد أن يطفئ نوره و يجعل كيدهم في نحورهم و ينصر دينه و يعلي كلمته.

(وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ)

ثم أخبر تعالى أن من ارتد عن الإسلام بأن اختار عليه الكفر و استمر على ذلك حتى مات كافرا

(فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ)لعدم وجود شرطها و هو الإسلام

(وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)

و دلت الآية بمفهومها أن من ارتد ثم عاد إلى الإسلام أنه يرجع إليه عمله الذي قبل ردته

و كذلك من تاب من المعاصي فإنها تعود إليه أعماله المتقدمة.217

(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)

هذه الأعمال الثلاثة هي عنوان السعادة و قطب رحى العبودية و بها يعرف ما مع الإنسان من الربح و الخسران

فأما الإيمـــــان:-

فلا تسأل عن فضيلته و كيف تسأل عن شيء هو الفاصل بين أهل السعادة وأهل الشقاوة وأهل الجنة من أهل النار؟

وهو الذي إذا كان مع العبد قبلت أعمال الخير منه وإذا عُدِم منه لم يقبل له صرف ولا عدل ولا فرض ولا نفل.

و أما الهجـــــرة:-

فهي مفارقة المحبوب المألوف لرضا الله تعالى فيترك المهاجر وطنه وأمواله وأهله وخلانه تقربا إلى الله و نصرة لدينه.

و أما الجهـــــاد:

1-فهو بذل الجهد في مقارعة الأعداء2-و السعي التام في نصرة دين الله 3-و قمع دين الشيطان

و هو ذروة الأعمال الصالحة و جزاؤه أفضل الجزاء

و هو السبـــــب الأكبـــــر:-

1-لتوسيع دائرة الإسلام 2-و خذلان عباد الأصنام3-و أمن المسلمين على أنفسهم وأموالهم وأولادهم.

فمن قام بهذه الأعمال الثلاثة على لأوائها ومشقتها كان لغيرها أشد قياما به وتكميلا.

فحقيق بهؤلاء أن يكونوا هم الراجون رحمة الله لأنهم أتوا بالسبب الموجب للرحمة

-و في هذا دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة

-و أما الرجاء المقارن للكسل وعدم القيام بالأسباب فهذا عجز و تمن و غرور وهو دال على ضعف همة صاحبه و نقص عقله[بمنزلة من يرجو وجود ولد بلا نكاح و وجود الغلة بلا بذر وسقي] ونحو ذلك.

و في قوله: (أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ)

إشارة إلى أن العبد و لو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها ويعـول عليها بل يـــرجو:-

1-رحمــــة ربه2-و يرجو قبـــول أعماله3-و مغفـــرة ذنوبه4-و ستـــــر عيوبه.

و لهذا قال: (وَٱللَّهُ غَفُورٌ)لمن تاب توبة نصوحا

(رَّحِيمٌ)وسعت رحمته كل شيء و عم جوده وإحسانه كل حي.

و في هذا دليل على أن من قام بهذه الأعمال المذكورة⇦

حصل له مغفرة الله إذ الحسنات يذهبن السيئات و حصلت له رحمة الله.

*و إذا حصلت له المغفرة⇦

اندفعت عنه عقوبات الدنيا و الآخرة التي هي آثار الذنوب التي قد غفرت واضمحلت آثارها

*و إذا حصلت له الرحمة⇦

حصل على كل خير في الدنيا و الآخرة بل أعمالهم المذكورة من رحمة الله بهم

فلولا توفيقه إياهم لم يريدوها

و لولا إقدارهم عليها لم يقدروا عليها

و لولا إحسانه لم يتمها و يقبلها منهم

فله الفضل أولا وآخـــــرا وهو الذي منّ بالسبب و المسبب﴿٢١٨﴾

(۞ يَسۡـَٔلُونَكَ)يسألك–يا أيها الرسول–المؤمنون (عَنِ) أحكام (ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ)

و قد كانا مستعملين في الجاهلية و أول الإسلام فكأنه وقع فيهما إشكال فلهذا سألوا عن حكمهما

*الترمذى 3049 - عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺأَنَّهُ قَالَ:«اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ»

1-فَنَزَلَتِ الَّتِي فِي البَقَرَةِ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ} [البقرة: 219]

فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ»

2-فَنَزَلَتِ الَّتِي فِي النِّسَاءِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى} [النساء: 43] فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ

ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ»

3-فَنَزَلَتِ الَّتِي فِي المَائِدَةِ: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ}[المائدة: 91]- إِلَى قَوْلِهِ-

{فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة: 91] فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: «انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا»

(قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ)

فأمر الله تعالى نبيه أن يبين لهم منافعهما و مضارهما ليكون ذلك مقدمة لتحريمهما و تحتيم تركهما.

فأخبر أن إثمهمـــا ومضارهمـــا: و ما يصـــــدر منهما من:–

1–ذهاب العقـــــل و المال

2–و الصد عن[ذكر الله و عن الصلاة]

3–و العـــــداوة

4–و البغضـــــاء

(أَكۡبَرُ)مما يظنونه (مِن نَّفۡعِهِمَاۗ)

من كسب المال بالتجارة بالخمر و تحصيله بالقمار و الطرب للنفوس عند تعاطيهما

و كان هذا البيان زاجرا للنفوس عنهما لأن العـــــاقل:–

1-يرجح ما ترجحت مصلحته

2-و يجتنب ما ترجحت مضرته

ولكن لما كانوا قد ألفوهما وصعب التحتيم بتركهما أول وهلة قدم هذه الآية مقدمة للتحريم الذي ذكره في قوله:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ)المائدة

-فأما الخمر:- فهو كل مسكر خامر العقل و غطاه من أي نوع كان

-و أما الميسر:-فهو كل المغالبات التي يكون فيها عوض من الطرفين من النرد والشطرنج

و كل مغالبة قولية أو فعلية بعوض

سوى مسابقة [الخيل و الإبل و السهام]فإنها مباحة لكونها معينة على الجهاد فلهذا رخص فيها الشارع.

(وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ)

و هذا سؤال عن مقدار ما ينفقونه من أموالهم فيسر الله لهم الأمر

(قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ)الفضل(و ليس العفو هنا بمعنى التجاوز و المغفرة)

-وأمرهم أن ينفقوا العفو و هو المتيسر من أموالهم الذى لا تتعلق به حاجتهم و ضرورتهم

-وهذا يرجع إلى كل أحد بحسبه من غني وفقير ومتوسط كل له قدرة على إنفاق ما عفا من ماله ولو شق تمرة.

-و لهذا أمر الله رسوله ﷺأن يأخذ العفو من أخلاق الناس وصدقاتهم ولا يكلفهم ما يشق عليهم.

ذلك بأن الله تعالى لم يأمرنا بما أمرنا به حاجة منه لنا أو تكليفا لنا بما يشق بل أمرنا بما فيه سعادتنا وما يسهل علينا وما به النفع لنا ولإخواننا فيستحق على ذلك أتم الحمد.

*مسلم997عَنْ جَابِرٍ ﷺقَالَ: أَعْتَقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ عَبْدًا لَهُ عَنْ دُبُرٍ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺفَقَالَ: «أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ؟»فَقَالَ: لَا فَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي؟»

فَاشْتَرَاهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْعَدَوِيُّ بِثَمَانِ مِائَةِ دِرْهَمٍ فَجَاءَ بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺفَدَفَعَهَا إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا» يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ

*مسلم 1036 عن أَبِي أُمَامَةَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ

(إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه وإن أمسكته فهو شر لك)

وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ (أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه)

وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»

ولما بيّن تعالى هذا البيان الشافي وأطلع العباد على أسرار شرعه قال:(كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ)

الدالات على الحق المحصلات للعلم النافع و الفرقان

(لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ)

هِ ىَ وَ اللَّهِ لِمَنْ تَفَكَّرَ فِيهَا لِيَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ ثُمَّ دَارُ فَنَاءٍ وَ لِيَعْلَمَ أَنَّ الْآخِرَةَ دَارُ جَزَاءٍ ثُمَّ دَارُ بَقَاءٍ.

لكى تستعملوا أفكاركم فى أسرار شرعه و تعرفوا أن أوامره فيها مصالح الدنيا و الآخرة ٢١٩

و أيضا لكى تتفكروا (فِي ٱلدُّنۡيَا)و سرعة انقضائها ⇦فترفضوها

(وَٱلۡأٓخِرَةِ)و بقائها و أنها دار الجزاء⇦ فتعمروها.

فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ
وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٠﴾
وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ
وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ
وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾
وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ
فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾
نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ
وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾

(فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ)

*أبي داود 2871 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ﵄ قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[الأنعام:152]وَ {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا} [النساء: 10] الْآيَةَ انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ فَجَعَلَ يَفْضُلُ مِنْ طَعَامِهِ فَيُحْبَسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺفَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ}[البقرة: 220]
فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِ وَ شَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِ "

(قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ)فأخبرهم تعالى أن المقصود إصلاح أموال اليتامى:-

1-بحفظها 2-و صيانتها 3-و الاتجار فيها

(وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ)و أن خلطتهم إياهم فى طعام أو غيره جائز على وجه لا يضر باليتامى

لأنهم (فَإِخۡوَٰنُكُمۡ)و من شأن الأخ مخالطة أخيه

(وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ)و المرجع في ذلك إلى النية و العمل

-فمن علم الله من نيته أنه مصلح لليتيم وليس له طمع في ماله

-فلو دخل عليه شيء من غير قصد لم يكن عليه بأس

–و من علم الله من نيته أن قصده بالمخالطة التوصل إلى أكلها وتناولها

فذلك الذي حرج و أثم و « الوسائل لها أحكام المقاصد »

و في هذه الآيـــــة:–

دليل على جواز أنواع المخالطات في المآكل والمشارب والعقود وغيرها وهذه الرخصة لطف من الله تعالى وإحسان وتوسعة على المؤمنين

و إلا (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ)شق عليكم بعدم الرخصة بذلك فحرجتم. و شق عليكم وأثمتم

(إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ)له القوة الكاملة والقهر لكل شيء و لكنه مع ذلك

(حَكِيمٌ)لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته الكاملة وعنايته التامة

فـــعـــــزته لا تنافي حــــــكمته

فلا يقال: إنه ما شاء فعل وافق الحكمة أو خالفها بل يقال: إن أفعاله وكذلك أحكامه تابعة لحكمته

فلا يخلق شيئا عبثا بل لا بد له من حكمة عرفناها أم لم نعرفها

–وكذلك لم يشرع لعباده شيئا مجردا عن الحكمة –فلا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة

–و لا ينهى إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راجحة لتمام حكمته و رحمته220

(وَلَا تَنكِحُواْ)النساء(ٱلْمُشْرِكَٰتِ)ما دمن على شركهن(حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ)

لأن المؤمنة ولو بلغت من الدمامة ما بلغت خير من المشركة ولو بلغت من الحسن ما بلغت

وهذه عامة في جميع النساء المشركات وخصصتها آية المائدة في إباحة نساء أهل الكتاب كما قال تعالى

(ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ) المائدة: ٥

*سعيد بن منصور716 -عن شَقِيقِ بْنَ سَلَمَةَ يَقُولُ: تَزَوَّجَ حُذَيْفَةُ يَهُودِيَّةً فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: طَلِّقْهَا فَكَتَبَ إِلَيْهِ: لِمَ؟أَحَرَامٌ هِيَ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: «لَا وَ لَكِنِّي خِفْتُ أَنْ تَعَاطَوَا الْمُومِسَاتِ مِنْهُنَّ»

*البخارى5090 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَ لِحَسَبِهَا وَ جَمَالِهَا وَ لِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ

(وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ)و هذا عام لا تخصيص فيه (لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ)الممتحنة: ١٠

(وَلَعَبْدٌ)و اعلموا أن عبدًا (مُّؤْمِنٌ) مع فقره (خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ)

-ثم ذكر تعالى الحكمة في تحريم نكاح المسلم أو المسلمة لمن خالفهما في الدين فقال:

(أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ)في أقـــــوالهم أو أفعـــــالهم وأحـــــوالهم فمخالطتهم على خطر منهم

والخطر ليس من الأخطار الدنيوية إنما هو الشقاء الأبدي.

فمعاشَرتهم وَ مُخَالَطَتُهُمْ تَبْعَثُ عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَ اقْتِنَائِهَا وَ إِيثَارِهَا عَلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ وَعَاقِبَةُ ذَلِكَ وَخِيمَةٌ

و يستفـــــاد من تعليل الآيـــــة:-

النهي عن مخالطة كل مشرك و مبتدع لأنه إذا لم يجز التزوج مع أن فيه مصالح كثيرة

فالخلطة المجردة من باب أولى

و خصـــــوصــــا: [الخلطة التي فيها ارتفاع المشرك و نحوه على المسلم كالخدمة] و نحوها.

و في قوله: (وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ) دليل على اعتبار الولي في النكاح .

(وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ) بِشَرْعِهِ وَ مَا أَمَرَ بِهِ وَمَا نَهَى عَنْهُ

أي: يدعو عباده لتحصيل الجنة والمغفرة التي من آثارها دفع العقوبات

و ذلك بالدعـــــوة إلى أسبابهـــــا من:-

-الأعمـــــال الصـالحة-و التـــــوبة النصـــوح-و العـــــلم النـــــافع-و العـــــمل الصـــالح.

(وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ) أحكامه و حكمها

(لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ) فيوجب لهم ذلك التذكر لما نسوه وعلم ما جهلوه والامتثال لما ضيعوه221

(وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى)

*الصحيح المسند من أسباب النزول:مسلم 302 عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا وَ لَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى
{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ} [البقرة: 222] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: -
«اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ» فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ فَقَالُوا:
مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ
فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ فَقَالَا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا فَلَا نُجَامِعُهُـــــنَّ؟
فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا(لم يغضب)

يخبر تعالى عن سؤالهم عن المحيض وهل تكون المرأة بحالها بعد الحيض كما كانت قبل ذلك أم تجتنب مطلقا

كما يفعله اليهود؟فأخبر تعالى أن الحيض أذى و إذا كان أذى فمن الحكمة أن يمنع الله تعالى عباده عن الأذى

وحده ولهذا قال:-(فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِۖ)

مكان الحيض و هو الوطء في الفرج خاصة فهذا هو المحرم إجماعا

و تخصيص الاعتزال في المحيض يدل على:-أن مباشرة الحائض و ملامستها في غير الوطء في الفرج جائز.

*مسلم -302 -قال ﷺ اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ"

*أبي داود272 -عَنْ عِكْرِمَةَ ﷺ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ مِنَ الْحَائِضِ شَيْئًا أَلْقَى عَلَى فَرْجِهَا ثَوْبًا»

*و روى الطبرى عَنْ مَسْرُوق قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ:
مَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ مِنَ امْرَأَتِهِ إِذَا كَانَتْ حَائِضًا؟ قَالَتْ: كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْجِمَاعَ.
* قُلْتُ: وَتَحِلُّ مُضَاجَعَتَهَا و مُؤَاكَلَتَهَا بِلَا خِلَاف.و الَّذِى أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَحْرِيمِهِ و هُوَ الْمُبَاشَرَةُ فِي الْفَرْجِ.
ثُمَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَثِمَ فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ
*مسلم 301 عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ:«كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَّكِئُ فِي حِجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ»
*مسلم 300 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:«كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ فَيَشْرَبُ وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ»

لكن قوله: (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ)

يدل على أن المباشرة فيما قرب من الفرج و ذلك فيما بين السرة و الركبة ينبغى تركه كما كان النبي ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأته وهي حائضأمرها أن تتزر فيباشرها.

وحد هذا الاعتزال وعدم القربان للحيَّض(حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ)ينقطع دمهن فإذا انقطع الدم زال المنع الموجود وقت جريانه الذي كان لحله شرطان انقطاع الدم والاغتسال منه.

فلما انقطع الدم زال الشرط الأول وبقي الثاني فلهذا قال:(فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ) أي: اغتسلن

(فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ)فى القبـــل لا في الـــدبر لأنه محل الحرث.

وفيه دليل على وجوب الاغتسال للحائض و أن انقطاع الدم شرط لصحته.

ولما كان هذا المنع لطفا منه تعالى بعباده و صيانة عن الأذى قال تعالى:

(إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ)من ذنوبهم على الدوام-و إن تكرر غشيان الذنب

(وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ)المتنزهين عن الآثام و هذا يشمل التطهر الحسى من الأنجاس و الأحداث.

–ففيه مشروعية الطهارة مطلقا لأن الله يحب المتصف بها

–و لهذا كانت الطهارة مطلقا شرطا لصحة:– الصلاة و الطواف و جواز مس المصحف

–و يشمل التطهر المعنوي عن:–

– الأخـــلاق الرذيلة

–و الصفـــات القبيحة

–و الأفعـــال الخسيسة

222

(نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ)

مقبلة و مدبرة غير أنه لا يكون إلا في القبل[لكونه موضع الحرث]

(((وهو الموضع الذي يكون منه الولد))).

وفيه دليل على تحريم الوطء في الدبر لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث

و قد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺفي تحريم ذلك ولعن فاعله.

*الصحيح المسند من أسباب النزول:*صحيح البخارى4528 - عن جَابِرٍ ﷺقَالَ:

كَانَتِ اليَهُودُ تَقُولُ: إِذَا جَامَعَهَا مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الوَلَدُ أَحْوَلَ فَنَزَلَتْ:

{نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ} [البقرة: 223]

* مسند أحمد 26698 - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ:لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى الْأَنْصَارِ تَزَوَّجُوا مِنْ نِسَائِهِمْ وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يُجَبُّونَ(تُوطأ المرأة منكبة على وجهها كهيئتها حين تسجد)وَ كَانَتِ الْأَنْصَارُ لَا تُجَبِّي فَأَرَادَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ امْرَأَتَهُ عَلَى ذَلِكَ فَأَبَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺقَالَتْ: فَأَتَتْهُ فَاسْتَحْيَتْ أَنْ تَسْأَلَهُ فَسَأَلَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فَنَزَلَتْ:

{نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ} [البقرة: 223]وَ قَالَ:«لَا إِلَّا فِي صِمَامٍ وَاحِدٍ»

(مسلكاً واحداً هو الفرج فالحاصل أن الآية ليست لتحليل الإتيان فى الدبر وإنما لتحليل الإتيان فى القبل من الدبر)

(وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ)

-من التقرب إلى الله بفعل الخيرات ومن ذلك أن يباشر الرجل امرأته و يجامعها على وجه القربة و الاحتساب و على رجاء تحصيل الذرية الذين ينفع الله بهم.

-البدء باسم الله

*البخارى141 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ يَبْلُغُ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:«لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَ جَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ»

* السنن الكبرى للنسائى 8979 عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

«يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنَ ابْنِ آدَمَ كُلَّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ»

ثُمَّ قَالَ:«إِمَاطَتُكَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ وَتَسْلِيمُكَ عَلَى النَّاسِ صَدَقَةٌ

وَ أَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَ نَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَ مُبَاضَعَتُكَ أَهْلَكَ صَدَقَةٌ»

قُلْنَا:يَا رَسُولَ اللهِ أَيَقْضِي الرَّجُلُ شَهْوَتَهُ وَ تَكُونُ لَهُ صَدَقَةٌ؟

قَالَ:«نَعَمْ أَرَأَيْتَ لَوْ جَعَلَ تِلْكَ الشَّهْوَةَ فِيمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ أَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ وِزْرًا؟»

قُلْنَا: بَلَى قَالَ: «فَإِنَّهُ إِذَا جَعَلَهَا فِيمَا أَحَلَّ اللهُ لَهُ فَهِيَ صَدَقَةٌ»

قَالَ:وَ ذَكَرَ أَشْيَاءَ صَدَقَةً ثُمَّ قَالَ:«يُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ رَكْعَتَا الضُّحَى»

(وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ)فى جميع أحوالكم كونوا ملازمين لتقوى الله

(وَٱعْلَمُوٓا۟)مستعينين بذلك لعلمكم(أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ)و مجازيكم على أعمالكم الصالحة وغيرها.

ثم قال:(وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ)لم يذكر المبشر به ليدل على العموم وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة و كل خير و اندفاع كل ضير رُتِبَ على الإيمان فهو داخل في هذه البشارة.

–و فيها محبة الله للمؤمنين

–و محبة ما يسرهم

–و استحباب تنشيطهم

–و تشويقهم بما أعد الله لهم من الجزاء الدنيوى و الأخروى223

(وَلَا تَجۡعَلُواْ)حلفكم بـــــ(ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ)مانعة وحائلة (أَن تَبَرُّواْ)عن أن يبروا–أن يفعلوا خيرا مثل

(الْبَرِّ وَ صِلَةِ الرَّحِمِ)(وَتَتَّقُواْ)أو يتقوا شرا

(وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ)أو يصلحوا بين الناس

–فمن حلف على ترك واجب وجب حنثه و حرم إقامته على يمينه

–و من حلف على ترك مستحب استحب له الحنث

–و من حلف على فعل محرم وجب الحنث أو على فعل مكروه استحب الحنث

–و أما المباح فينبغي فيه حفظ اليمين عن الحنث.

*فلا تتعتجوا بأنكم أقسمتم بالله ألا تفعلوه بل على الحالف أن يعدل عن حلفه و يفعل أعمال البر و يكفر عن يمينه و لا يعتاد ذلك

و يستدل بهذه الآية على القاعدة المشهورة أنه« إذا تزاحمت المصالح قدم أهمها »

فهنا تتميم اليمين مصلحة و امتثال أوامر الله في هذه الأشياء مصلحة أكبر من ذلك فقدمت لذلك.

*البخارى6625 - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«وَ اللَّهِ لَأَنْ يَلِجَّ أَحَدُكُمْ (أن يقيم على يمينه ولا يحنث بها)بِيَمِينِه فِي أَهْلِهِ(الذين يتضررون بعدم حنثه)آثَمُ لَهُ(أكثر إثما من الحنث الذي يمحى بالكفارة) عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَنْ يُعْطِيَ كَفَّارَتَهُ الَّتِي افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ»

*و رأى الجمهور :أنك تكفر عن يمينك و تصنع الخير و يؤيدهما جاء في:

*البخارى3133 - عَنْ زَهْدَمٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه فَأُتِيَ - ذَكَرَ دَجَاجَةً -
وَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ أَحْمَرُ كَأَنَّهُ مِنَ المَوَالِي فَدَعَاهُ لِلطَّعَامِ
فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ شَيْئًا فَقَذِرْتُهُ فَحَلَفْتُ لاَ آكُلُ فَقَالَ: هَلُمَّ فَلْأُحَدِّثْكُمْ عَنْ ذَاكَ
إِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺفِي نَفَرٍ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ نَسْتَحْمِلُهُ فَقَالَ: «وَاللَّهِ لاَ أَحْمِلُكُمْ وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ»
وَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺبِنَهْبِ إِبِلٍ فَسَأَلَ عَنَّا فَقَالَ: «أَيْنَ النَّفَرُ الأَشْعَرِيُّونَ؟»
فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ ذَوْدٍ غُرِّ الذُّرَى فَلَمَّا انْطَلَقْنَا قُلْنَا: مَا صَنَعْنَا؟
لاَ يُبَارَكُ لَنَا فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا: إِنَّا سَأَلْنَاكَ أَنْ تَحْمِلَنَا فَحَلَفْتَ أَنْ لاَ تَحْمِلَنَا أَفَنَسِيتَ؟
قَالَ: «لَسْتُ أَنَا حَمَلْتُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ وَإِنِّي وَاللَّهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ
فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا»

*مسلم 1650 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَعْتَمَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ
ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَوَجَدَ الصِّبْيَةَ قَدْ نَامُوا فَأَتَاهُ أَهْلُهُ بِطَعَامِهِ فَحَلَفَ لَا يَأْكُلُ مِنْ أَجْلِ صِبْيَتِهِ
ثُمَّ بَدَا لَهُ فَأَكَلَ فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺفَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِهَا وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ»

ثم ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين فقال:(وَٱللَّهُ سَمِيعٌ)أي: لجميع الأصوات

(عَلِيمٌ)بالمقاصد و النيات ومنه سماعه لأقوال الحالفين و علمه بمقاصدهم هل هي خير أم شر

وفي ضمن ذلك التحذير من مجازاته وأن أعمالكم ونياتكم قد استقر علمها عنده.

الاعجاز العلمي في تحريم الوطء أثناء الحيض الرابط

-قد يكون أحد أسباب سرطان عنق الرحم ويحتاج الأمر إلى مزيد من الدراسة
و تنتقل الميكروبات من قناة الرحم إلى مجرى البول و البروستات و المثانة.
و التهاب البروستات سرعان ما يصبح مزمناً لكثرة قنواتها الضيقة الملتفة
و التي نادراً ما يتمكن الدواء من قتل الميكروبات المختفية في تلافيفها
فإذا ما أزمن التهاب البروستات فإن الميكروبات سرعان ما تغزو بقية الجهاز البولي التناسلي فتنتقل إلى الحالبين ثم إلى الكلى و هو العذاب المستمر حتى نهاية الأجل.
و قد ينتقل الميكروب من البروستات إلى الحويصلات المنوية فالحبل المنوي فالبربخ فالخصيتين و قد يسبب ذلك عقماً بسبب انسداد قناة المني 224

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾
لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ
فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ
فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًاۚ
وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ
أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ
أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

(لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ)لَا يُعَاقِبُكُمْ وَ لَا يُلْزِمُكُمْ بِمَا صَدَرَ مِنْكُمْ (بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ)

مِنَ الْأَيْمَانِ اللَّاغِيَةِ وَ هِيَ الَّتِي لَا يَقْصِدُهَا الْحَالِفُ بَلْ تَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ عَادَةً

1-مِنْ غَيْرِ تَعْقِيدٍ وَ لَا تَأْكِيدٍ 2-من غير قصد منه 3-و لا كسب قلب

لكنها جرت على لسانه كقول الرجل في عرض كلامه:« لا و الله »و « بلى و الله »

و كحلفه على أمر ماض يظن صدق نفسه

كَمَا فى البخارى4860 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَ اللَّاتِ وَ العُزَّى فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

و في هذا دليل على اعتبار المقاصد في الأقوال كما هي معتبرة في الأفعال.

(وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم)يعاقبكم(بِمَا كَسَبَتْ)قصدَتْ (قُلُوبُكُمْ)هُوَ أَنْ يَحْلِفَ عَلَى الشَّيْءِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ

وَهِيَ كَقَوْلِهِ:{وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ} [الْمَائِدَة:89]

(وَٱللَّهُ غَفُورٌ)لمن تاب إليه (حَلِيمٌ)بمن عصاه حيث لم يعاجله بالعقوبة بل حلم عنه وستر وصفح225

(لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ)الْإِيلَاءُ:الْحَلِفُ فَإِذَا حَلَفَ الرَّجُلُ أَلَّا يُجَامِعَ زَوْجَتَهُ مُدَّةً
فَلَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَقَلَّ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْهَا فَإِنْ كَانَتْ أَقَلَّ فَلَهُ أَنْ يَنْتَظِرَ انْقِضَاءَ الْمُدَّةِ
ثُمَّ يُجَامِعُ امْرَأَتَهُ وَعَلَيْهَا أَنْ تَصْبِرَ وَلَيْسَ لَهَا مُطَالَبَتُهُ بِالْفَيْئَةِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ

وَهَذَا كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ آلَى مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا فَنَزَلَ لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَ قَالَ: "الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ"-وَ لَهُمَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ نَحْوُهُ.
فَأَمَّا إِنْ زَادَتِ الْمُدَّةُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَلِلزَّوْجَةِ مُطَالَبَةُ الزَّوْجِ عِنْدَ انْقِضَاءِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ:-
1-إِمَّا أَنْ يَفِيءَ-أَيْ: يُجَامِعُ -2-وَ إِمَّا أَنَّ يُطَلِّقَ فَيَجْبُرُهُ الْحَاكِمُ عَلَى هَذَا أَوْ هَذَا لِئَلَّا يَضُرَّ بِهَا.
وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ}أَيْ:يَحْلِفُونَ عَلَى تَرْكِ الْجِمَاعِ مِنْ نِسَائِهِمْ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِيلَاءَ يَخْتَصُّ بِالزَّوْجَاتِ دُونَ الْإِمَاءِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ.
{تَرَبُّصُ }يَنْتَظِرُ الزَّوْجُ(أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ)مِنْ حِينِ الْحَلِفِ ثُمَّ يُوقَفُ وَ يُطَالَبُ بِالْفَيْئَةِ أَوِ الطَّلَاقِ.
–و هذا من الأيمان الخاصة بالزوجة في أمر خاص و هو حلف الزوج على ترك وطء زوجته مطلقا أو مقيدا بأقل من أربعة أشهر أو أكثر.
فمن آلى من زوجته خاصة فإن كان لدون أربعة أشهر فهذا مثل سائر الأيمان إن حنث كفر
–و إن أتم يمينه فلا شيء عليه وليس لزوجته عليه سبيل لأنه ملكه أربعة أشهر.
–وإن كان أبدا أو مدة تزيد على أربعة أشهر ضربت له مدة أربعة أشهر من يمينه إذا طلبت زوجته ذلك لأنه حقها
–فإذا تمت أمر بالفيئة و هو الوطء فإن وطئ فلا شيء عليه إلا كفارة اليمين و إن امتنع أجبر على الطلاق فإن امتنع طلق عليه الحاكم و لكن الفيئة والرجوع إلى زوجته أحب إلى الله تعالى و لهذا قال:-
(فَإِن فَآءُو)رجعوا إلى ما حلفوا على تركه وهو الوطء.
(فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ)يغفر لهم ما حصل منهم من الحلف بسبب رجوعهم.
(رَّحِيمٌ)حيث جعل لأيمانهم كفارة و تحلة و لم يجعلها لازمة لهم غير قابلة للانفكاك ورحيم بهم أيضا حيث فاءوا إلى زوجاتهم و حنوا عليهن و رحموهن226
(وَإِنۡ عَزَمُواْ)عقدوا عزمهم على (ٱلطَّلَٰقَ)باستمرارهم في اليمين و ترك الجماع
وهذا لا يكون إلا عزما على الطلاق فإن حصل هذا الحق الواجب منه مباشرة وإلا أجبره الحاكم عليه أو قام به.
(فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)فيه وعيد وتهديد لمن يحلف هذا الحلف ويقصد بذلك المضارة والمشاقة.
و يستدل بهذه الآيـــــة على:–
1–أن الإيلاء خاص بالزوجة لقوله: (من نسائهم)
2–و على وجوب الوطء في كل أربعة أشهر مرة لأنه بعد الأربعة يجبر إما[على الوطء أو على الطلاق] و لا يكون ذلك إلا لتـــــركه واجـــــب227
(وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ)النساء اللاتي طلقهن أزواجهن (يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ)ينتظرن و يعتددن مدة

(ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ)حيض أو أطهار على اختلاف العلماء في المراد بذلك مع أن الصحيح أن القـــرء:- الحـــــيض

-و لهذه العدةِ عِـــدّةُ حِكـــَمٍ منها:-

☼العلم ببراءة الرحم إذا تكررت عليها ثلاثة الأقراء عُلِم أنه ليس في رحمها حمل

⇦فلا يفضي إلى اختلاط الأنساب و لهذا أوجب تعالى عليهن الإخبار عن

(وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ)

و حرم عليهن كتمان ذلك من حمـل أو حيـض لأن كتمان ذلك يفضي إلى مفاسد كثيرة

فكتمان الحمل موجب أن:-تلحقه بغير من هو له رغبة فيه و استعجالا لانقضاء العدة

فإذا ألحقـــــته بغير أبيه:-

1- حصل من قطع الرحم و الإرث 2- و احتجاب محارمه و أقاربه عنه 3- و ربما تزوج ذوات محارمه

4-و حصل فى مقابلة ذلك إلحاقه بغير أبيه 5- و ثبوت توابع ذلك من الإرث منه و له

6- و من جعل أقارب الملحق به أقارب له و في ذلك من الشر و الفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد

و لو لم يكن في ذلك إلا إقامتها مع من نكاحها باطل في حقه و فيه الإصرار على الكبيرة العظيمةو هي الزنا لكفى بذلك شرا.

*و أما كتمـان الحيض:-بأن استعجلت و أخبرت به و هي كاذبة ففيه من انقطاع حق الزوج عنهاو إباحتها لغيره

وما يتفرع عن ذلك من الشر كما ذكرنا و إن كذبت و أخبرت بعدم وجود الحيض لتطول العدة

فتأخذ منه نفقة غير واجبة عليه بل هى سحت عليها محرمة من جهتين: -

1-من كـــــونها لا تستحقه 2-و من كـــــونها نسبته إلى حكم الشرع و هي كاذبة

-و ربما راجعها بعد انقضاء العدة فيكون ذلك سفاحا لكونها أجنبية عنه فلهذا قال تعالى:-

(وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ)

تَهْدِيدٌ لَهُنَّ عَلَى قَوْلِ خِلَافِ الْحَقِّ.

وَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْمَرْجِعَ فِي هَذَا إِلَيْهِنَّ لِأَنَّهُ أَمْرٌ لَا يُعْلَمُ إِلَّا مِنْ جِهَتَيْنِ وَ تَتَعَذَّرُ إِقَامَةُ الْبَيِّنَةِ غَالِبًا عَلَى ذَلِكَ فَرَدَّ الْأَمْرَ إِلَيْهِنَّ و تُوُعِّدْنَ فِيهِ لِئَلَّا تُخْبِرَ بِغَيْرِ الْحَقِّ إِمَّا اسْتِعْجَالًا مِنْهَا لِانْقِضَاءِ الْعِدَّةِ أَوْ رَغْبَةً مِنْهَا فِي تَطْوِيلِهَا لِمَا لَهَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ.فَأُمِرَتْ أَنْ تُخْبِرَ بِالْحَقِّ فِي ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ

فصدور الكتمان منهن دليل على عدم إيمانهن بالله واليوم الآخر وإلا فلو آمنّ بالله واليوم الآخر

وعــــرفن أنهن مجزيات عن أعمالهن لم يصدر منهن شيء من ذلك.

و فى ذلك دليل على قبول خبر المرأة عما تخبر به عن نفسها من الأمر الذي لا يطلع عليه غيرها كالحيض والحمل ونحوه .

ثم قال تعالى: (وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ)لأزواجهن ما دامت متربصة في تلك العدة أن يردوهن إلى نكاحهن

(إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ)رغبـــــة و ألفـــــة و مـــــودة.

-و مفهوم الآية أنهم إن لم يريدوا الإصلاح فليسوا بأحق بردهن فلا يحل لهم أن يراجعوهن لقصد المضارة لها و تطويل العدة عليهاو هل يملك ذلك مع هذا القصد؟

فـــــيه قـــــولان:-

الجمهور على أنه يملك ذلك مع التحريم و الصحيح أنه إذا لم يرد الإصلاح لا يملك ذلك كما هو ظاهر الآية

-و هذه حكمة أخرى في هذا التربص و هى:-

أنه ربما أن زوجها ندم على فراقه لها فجعلت له هذه المدة ليتروى بها و يقطع نظره.

و هذا يدل على محبته تعالى للألفة بين الزوجين وكراهته للفراق كقول النبي ﷺ:«أبغض الحلال إلى الله الطلاق »

(ضعيف سنن ابن ماجة (441 / 2018) ، الإرواء (2040) ، المشكاة (3280))

-و هذا خاص في الطلاق الرجعى

-و أما الطلاق البائن فليس البعل بأحق برجعتها بل إن تراضيا على التراجع فلا بد من عقد جديد مجتمع الشروط.

ثم قال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثۡلُ)و للنساء على بعولتهن من الحقوق و اللوازم

(ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ)لأزواجهن من الحقوق اللازمة و المستحبة

(بِٱلۡمَعۡرُوفِ)و مرجع الحقوق بين الزوجين يرجع إلى المعروف

و هو:العادة الجارية في ذلك البلد و ذلك الزمان من مثلها لمثله و يختلف ذلك باختلاف الأزمنة و الأمكنة و الأحوال و الأشخاص و العوائد.

-و في هذا دليل على أن النفقة و الكسوة و المعاشرة و المسكن و كذلك الوطء-الكل يرجع إلى المعروف فهذا موجب العقد المطلق. و أما مع الشرط فعلى شرطهما إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا.

(وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ)رفعـــــة و رياســـــة و زيـــــادة حق عليها كما قال تعالى:

(ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ)النساء: ٣٤

و منصب النبوة و القضاء و الإمامة الصغرى و الكبرى و سائر الولايات مختص بالرجال و له ضعفا ما لها فى كثير من الأمور كالميراث و نحوه.

(وَٱللَّهُ عَزِيزٌ)له العزة القاهرة و السلطان العظيم الذي دانت له جميع الأشياء و لكنه مع عزته

(حَكِيمٌ)فى تصرفه.

و يخرج من عموم هذه الآية الحوامل فعدتهن وضع الحمل و اللاتي لم يدخل بهن فليس لهن عدة و الإماء فعدتهن حيضتان كما هو قول الصحابة ﷺو سياق الآيات يدل على أن المراد بها الحرة228

*كان الطلاق في الجاهلية و استمر أول الإسلام يطلق الرجل زوجته بلا نهاية فكان إذا أراد مضارتها طلقها فإذا شارفت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها وصنع بها مثل ذلك أبدا فيحصل عليها من الضرر ما الله به عليم

فأخبر تعالى أن (ٱلطَّلَٰقُ)الذي تحصل به الرجعة (مَرَّتَانِۖ)ليتمكن الزوج إن لم يرد المضارة من ارتجاعها و يراجع رأيه في هذه المدة و أما ما فوقها فليس محلا لذلك لأن من زاد على الثنتين فإما متجرئ على المحرم أو ليس له رغبة في إمساكها بل قصده المضارة فلهذا أمر تعالى الزوج أن يمسك زوجته

(فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ)عِشْرة حسنة و يجري مجرى أمثاله مع زوجاتهم و هذا هو الأرجح و إلا يسرحها و يفارقها

(أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ)تخلية سبيلها مع حسن معاملتها بأداء حقوقها و ألا يذكرها مطلقها بسوء.

–و من الإحسان أن لا يأخذ على فراقه لها شيئا من مالها لأنه ظلم و أخذ للمال في غير مقابلة بشيء

(وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ)-أيها الأزواج-(أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ)أعطيتموهن(شَيۡـًٔا)من المهر ونحوه

(إِلَّآ أَن يَخَافَآ)الزوجان (أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ)بالحقوق الزوجية فحينئذ يعرضان أمرهما على الأولياء

كقوله (وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ) النساء: ١٩

و هى المخالعة بالمعروف بأن كرهت الزوجة زوجها لخُلقه أو خَلْقِه أو نقص دينه و خافت أن لا تطيع الله فيه

*فَأَمَّا إِنْ وَهَبَتْهُ الْمَرْأَةُ شَيْئًا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهَا فَقَدْ قَالَ{فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا} [النِّسَاءِ:4]

-وَ أَمَّا إِذَا تَشَاقَقَ الزَّوْجَانِ وَ لَمْ تَقُمِ الْمَرْأَةُ بِحُقُوقِ الرَّجُلِ وَ أَبْغَضَتْهُ وَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مُعَاشَرَتِهِ فَلَهَا أَنْ تَفْتَدِيَ مِنْهُ بِمَا أَعْطَاهَا وَ لَا حَرَجَ عَلَيْهَا فِي بَذْلِهَا وَ لَا عَلَيْهِ فِي قَبُولِ ذَلِكَ مِنْهَا

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:{وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلا أَنْ يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ}

فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا عُذْرٌ وَ سَأَلَتِ الِافْتِدَاءَ مِنْهُ فَقَدْ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:سنن أبي داود

2226 - عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ»

***ثُمَّ قَدْ قَالَ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَ أَئِمَّةِ الْخَلَفِ:-

إِنَّهُ لَا يَجُوزُ الْخُلْعُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الشِّقَاقُ وَ النُّشُوزُ مِنْ جَانِبِ الْمَرْأَةِ

فَيَجُوزُ لِلرَّجُلِ حِينَئِذٍ قَبُولُ الْفِدْيَةِ وَ احْتَجُّوا بِقَوْلِهِ{وَ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلا أَنْ يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ

قَالُوا:فَلَمْ يَشْرَعِ الْخُلْعَ إِلَّا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ فَلَا يَجُوزُ فِي غَيْرِهَا إِلَّا بِدَلِيلٍ وَ الْأَصْلُ عَدَمُه

و قَالَ مَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ: لَوْ أَخَذَ مِنْهَا شَيْئًا وَ هُوَ مُضَارٌّ لَهَا وَجَبَ رَدُّهُ إِلَيْهَا وَ كَانَ الطَّلَاقُ رَجْعِيًّا.

قَالَ مَالِكٌ: وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي أدركتُ الناسَ عَلَيْه.

وَ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى أَنَّهُ يَجُوزُ الْخُلْعُ فِي حَالَةِ الشِّقَاقِ وَ عِنْدَ الِاتِّفَاقِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَ الْأَحْرَى

*أبي داود -2227 - عَنْ حَبِيبَةَ بِنْتِ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيَّةِ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺخَرَجَ إِلَى الصُّبْحِ فَوَجَدَ حَبِيبَةَ بِنْتَ سَهْلٍ عِنْدَ بَابِهِ فِي الْغَلَسِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَذِهِ؟»فَقَالَتْ: أَنَا حَبِيبَةُ بِنْتُ سَهْلٍ قَالَ: «مَا شَأْنُكِ؟»قَالَتْ: لَا أَنَا وَلَا ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ لِزَوْجِهَا فَلَمَّا جَاءَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«هَذِهِ حَبِيبَةُ بِنْتُ سَهْلٍ» وَ ذَكَرَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَذْكُرَ وَ قَالَتْ حَبِيبَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلُّ مَا أَعْطَانِي عِنْدِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ: «خُذْ مِنْهَا» فَأَخَذَ مِنْهَا وَ جَلَسَتْ هِيَ فِي أَهْلِهَا

*البخارى 5273 -عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺفَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلاَ دِينٍ وَ لَكِنِّي أَكْرَهُ الكُفْرَ فِي الإِسْلاَمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ(مهره)؟» قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْبَلِ الحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً(طلقة واحدة رجعية)

(فَإِنْ خِفْتُمْ)فإن خاف الأولياء (أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ)عدم إقامة الزوجين حدود الله

(فَلَا جُنَاحَ)حرج (عَلَيْهِمَا)على الزوجين(فِيمَا افْتَدَتْ بِهِۦ) فيما تدفعه المرأة للزوج مقابل طلاقها.

–لأنه عوض لتحصيل مقصودها من الفرقة و في هذا مشروعية الخلع إذا وُجِدت هذه الحكمة.

(تِلْكَ)أى ما تقدم من الأحكام الشرعية (حُدُودُ اللَّهِ)أحكامه التي شرعها لكم و أمر بالوقوف معها

(وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

و أى ظلم أعظم ممن اقتحم الحلال و تعدى منه إلى الحرام فلم يسعه ما أحـــــل الله؟

و الظلـــــم ثلاثة أقســـــام:–

1–ظلم العبد فيما بينه و بين اللـــــه 2–و ظلم العبد الأكبر الذي هو الشـــــرك

3–و ظلم العبد فيما بينه و بين الخلق فالشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة و حقوق العباد لا يترك الله منها شيئا

و الظلم الذي بين العبد و ربه فيما دون الشرك تحت المشيئة و الحكمة229

(فَإِن طَلَّقَهَا) الطلقة الثالثة(فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ)

نكاحا صحيحا ويطؤها لأن النكاح الشرعي لا يكون إلا صحيحا و يدخل فيه العقد و الوطء و هذا بالاتفاق.

و يشترط أن يكون نكاح الثاني نكاح رغبة فإن قصد به تحليلها للأول فليس بنكاح و لا يفيد التحليل و لا يفيد وطء السيد لأنه ليس بزوج فإذا تزوجها الثانى راغبا و وطئها ثم فارقها و انقضت عدتها

*البخارى2639 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: جَاءَتْ امْرَأَةُ رِفَاعَةَ القُرَظِيِّ النَّبِيَّ ﷺفَقَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَنِي فَأَبَتَّ(من البت و هو القطع أي قطع طلاقي قطعا كليا و المراد أنه طلقها الطلقة الثالثة التي تحصل بها البينونة الكبرى) طَلاَقِي فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ إِنَّمَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ (طرفه الذي لم ينسج كَنَّت بهذا عن استرخاء ذكره و أنه لا يقدر على الوطء) فَقَالَ:«أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لاَ حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ(كناية عن الجماع فقد شبه لذته بلذة العسل و حلاوته) وَ يَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ»

وَ أَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ عِنْدَهُوَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ بِالْبَابِ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ

فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى هَذِهِ مَا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ

وَ الْمَقْصُودُ مِنَ الزَّوْجِ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ رَاغِبًا فِي الْمَرْأَةِ قَاصِدًا لِدَوَامِ عَشَرَتِهَا كَمَا هُوَ الْمَشْرُوعُ مِنَ التَّزْوِيجِ فَأَمَّا إِذَا كَانَ الثَّانِي إِنَّمَا قَصْدُهُ أَنْ يُحِلَّهَا لِلْأَوَّلِ فَهَذَا هُوَ الْمُحَلِّلُ الَّذِي وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ بِذَمِّهِ وَلَعْنِهِ وَمَتَى صَرَّحَ بِمَقْصُودِهِ فِي الْعَقْدِ بِطَلَ النِّكَاحُ عِنْدَ جُمْهُورِ الْأَئِمَّةِ.

* أبي داود 2076 - عَنْ عَلِيٍّ ﷺقَالَ إِسْمَاعِيلُ:وَ أُرَاهُ قَدْ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺأَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَلِّلَ وَ الْمُحَلَّلَ لَهُ».

(فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ)على الزوج الأول و الزوجة

(أَن يَتَرَاجَعَآ)يجددا عقدا جديدا بينهما لإضافته التراجع إليهما فدل على اعتبار التراضي.

و لكن يشترط في التراجع :-(إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ)بأن يقوم كل منهما بحق صاحبه

و ذلك إذا ندما على عشرتهما السابقة الموجبة للفراق وعزما أن يبدلاها بعشرة حسنة فهنا لا جناح عليهما في التراجع

و مفهـــــوم الآيـــــة الكـــــريمة:-

أنهما إن لم يظنا أن يقيما حدود الله بأن غلب على ظنهما أن الحال السابقة باقية

و العشرة السيئة غير زائلة أن عليهما في ذلك جناحا لأن جميع الأمور إن لم يقم فيها أمر الله و يسلك بها طاعته لم يحل الإقدام عليها.

و في هذا دلالة على أنه ينبغي للإنســــان:-

إذا أراد أن يدخل في أمر من الأمور خصوصا الولايات الصغار والكبار نظر في نفسه

فإن رأى من نفسه قوة على ذلك و وثق بها أقدم و إلا أحجم.

و لما بين تعالى هذه الأحكام العظيمة قال:(وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ) شرائعه التي حددها و بينها و وضحها.

(يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)لأنهم هم المنتفعون بها النافعون لغيرهم.

و فــــــى هذا:-

1-من فضيلة أهل العلم ما لا يخفى لأن الله تعالى جعل تبيينه لحدوده خاصا بهم و أنهم المقصودون بذلك

2-و فيه أن الله تعالى يحب من عباده معرفة حدود ما أنزل على رسوله و التفقه بها 230

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا
لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ
ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ
وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟
أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ)طلاقا رجعيا بواحدة أو ثنتين(فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ)

قاربن انقضاء عدتهن–أَنْ يُحْسِنَ فِي أَمْرِهَا إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا و لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا مِقْدَارَ مَا يُمْكِنُهُ فِيهِ رَجْعَتُهَا

(فَأَمْسِكُوهُنَّ)إما أن تراجعوهن و نيتكم القيام بحقوقهن–يَرْتَجِعَهَا إِلَى عِصْمَةِ نِكَاحِهِ

(بِمَعْرُوفٍ)أَنْ يُشْهِدَ عَلَى رَجْعَتِهَا و يَنْوِيَ عِشْرَتَهَا بِالْمَعْرُوفِ

(أَوْ سَرِّحُوهُنَّ)أو تتركوهن بلا رجعة و لا إضرار-يَتْرُكُهَا حَتَّى تَنْقَضِيَ عِدَّتُهَا و يُخْرِجُهَا مِنْ مَنْزِلِهِ

(بِمَعْرُوفٍ)بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنْ غَيْرِ شِقَاقٍ و لَا مُخَاصَمَةٍ و لَا تَقَابُحٍ

و لهذا قال: (وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا)أي: مضارة بهن(لِّتَعْتَدُوا۟)في فعلكم هذا الحلال إلى الحرام

فالحلال: الإمساك بمعروف و الحرام: المضارة

*كَانَ الرَّجُلُ يُطَلِّقُ الْمَرْأَةَ فَإِذَا قَارَبَتِ انْقِضَاءَ الْعِدَّةِ رَاجَعَهَا ضِرَارًا لِئَلَّا تَذْهَبَ إِلَى غَيْرِهِ ثُمَّ يُطَلِّقُهَا فَتَعْتَدُّ فَإِذَا شَارَفَتْ عَلَى انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ طَلَّقَ لِتَطُولَ عَلَيْهَا الْعِدَّةُ فَنَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ و تَوَعَّدَهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ:-

(وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ)بِمُخَالَفَتِهِ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى.

و لو كان الحق يعود للمخلوق فالضرر عائد إلى من أراد الضرار.

(وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا)لعبا بها و هو التجرؤ عليها و عدم الامتثال لواجبها مثل

1–استعمال المضارة في الإمســـــاك أو الفـــــراق 2– أو كثرة الطلاق 3– أو جمع الثلاث

و الله من رحمته جعل له واحدة بعد واحدة رفقا به و سعيا في مصلحته.

(وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ)عموما باللســــان ثنـــاء و حمــــدا

و بالقـــلب اعتـــرافا و إقــــرارا و بالأركــــان بصرفها في طاعة الله

(وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ)

1–أي:السنة اللذين بيّن لكم بهما طرق الخير و رغبكم فيها و طرق الشر و حذركم إياها و عرفكم نفسه و وقائعه في أوليائه و أعدائه و علمكم ما لم تكونوا تعلمون.

2–و قيل:المراد بالحكمة أسرار الشريعة فالكتاب فيه الحكم و الحكمة فيها بيان حكمة الله فى أوامره ونواهيه و كلا المعنيين صحيح

و لهــــذا قـــال (يَعِظُكُم بِهِۦ)بما أنزل عليكم و هذا مما يقوى أن المراد بالحكمة أسرار الشريعة لأن الموعظة ببيان الحكم و الحكمة و الترغيب أو الترهيب فالحكم به يزول الجهل و الحكمة مع الترغيب يوجب الـــــرغبة و الحكمة مع الترهيب يوجب الـــــرهبة.

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)فى جميع أموركم

(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ)

فلهذا بيّن لكم هذه الأحكام بغاية الإحكام و الإتقان التي هي جارية مع المصالح في كل زمان و مكان فله الحمد و المنة

نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الرَّجُلِ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ طَلْقَةً أَوْ طَلْقَتَيْنِ فَتَنْقَضِي عِدَّتُهَا ثُمَّ يَبْدُو لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا وَأَنْ يُرَاجِعَهَا وَتُرِيدَ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ فَيَمْنَعُهَا أَوْلِيَاؤُهَا مِنْ ذَلِكَ فَنَهَى اللَّهُ أَنْ يَمْنَعُوهَا.
وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ ظَاهِرٌ مِنَ الْآيَةِ وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَمْلِكُ أَنْ تُزَوِّجَ نَفْسَهَا وَأَنَّهُ لَا بُدَّ فِي تَزْوِيجِهَا مِنْ وَلِيٍّ

*أبي داود-2085 - عَنْ أَبِي مُوسَى‌رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ»

*الصحيح المسند من أسباب النزول:البخارى4529 - عَنِ الحَسَنِ‌رحمه الله
«أَنَّ أُخْتَ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ طَلَّقَهَا زَوْجُهَا فَتَرَكَهَا حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَخَطَبَهَا فَأَبَى مَعْقِلٌ»
فَنَزَلَتْ:{فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ} [البقرة: 232]

*أبو داود 2087 - حَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ قَالَ:كَانَتْ لِي أُخْتٌ تُخْطَبُ إِلَيَّ فَأَتَانِي ابْنُ عَمٍّ لِي فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ ثُمَّ طَلَّقَهَا طَلَاقًا لَهُ رَجْعَةٌ ثُمَّ تَرَكَهَا حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَلَمَّا خُطِبَتْ إِلَيَّ أَتَانِي يَخْطُبُهَا فَقُلْتُ: «لَا وَ اللَّهِ لَا أُنْكِحُهَا أَبَدًا» قَالَ: فَفِيَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ
{وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ}[البقرة: 232]

قَالَ:«فَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ»231

(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ)

هذا خطاب لأولياء المرأة المطلقة دون الثلاث إذا خرجت من العدة

و أراد زوجها أن ينكحهاو رضيت بذلك فلا يجوز لوليها من أب و غيره أن يعضلها

(فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ)تضيقوا-أيها الأولياء-على المطلقات

(أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ)بمنعهن من العودة إلى أزواجهن بعقد جديد :-

حنقا عليه و غضبا و اشمئزازا لما فَعَل من الطلاق الأول

(إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ)إذا أردن ذلك و حدث التراضى شرعًا و عرفًا.

(ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ)و ذكر أن (مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ)فإيمانه يمنعه من العضل

(ذَٰلِكُمْ)فإن ذلك (أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ)أطيب مما يظن الولى:-

1- أن عدم تزويجه هو الرأى و اللائق

2-و أنه يقابل بطلاقه الأول بعدم التزويج له كما هو عادة المترفعين المتكبرين.

فإن كان يظن أن المصلحة في عدم تزويجه

(وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)فامتثلوا أمر من هو عالم بمصالحكم مريد لها قادر عليها ميسر لها من الوجه الذى تعرفون وغيره.

و فى هذه الآيـــــة:-دليل على أنه لا بد من الولى في النكاح

لأنه نهى الأولياء عن العضل و لا ينهاهم إلا عن أمر هو تحت تدبيرهم ولهم فيه حق 232

(وَٱلْوَٰلِدَٰتُ)هذا خبر بمعنى الأمر تنزيلا له منزلة المتقرر الذي لا يحتاج إلى أمر

وَذَهَبَ أَكْثَرُ الْأَئِمَّةِ إِلَى أَنَّهُ لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ إِلَّا مَا كَانَ دُونَ الْحَوْلَيْنِ

فَلَوِ ارْتَضَعَ الْمَوْلُودُ وَ عُمْرُهُ فَوْقَهُمَا لَمْ يَحْرُمْ.

*الترمذى1152-عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءَ فِي الثَّدْى(فِي مَحَلِّ الرَّضَاعَةِ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ)وَ كَانَ قَبْلَ الفِطَامِ»

*البخارى 5102 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَ عِنْدَهَا رَجُلٌ فَكَأَنَّهُ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ فَقَالَتْ: إِنَّهُ أَخِي فَقَالَ:«انْظُرْنَ مَنْ إِخْوَانُكُنَّ فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ المَجَاعَةِ»(انظر فتوى بن باز)

بـأن(يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ)و لما كان الحول يطلق على الكامل و على معظم الحول قال:

(كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ)فإذا تم للرضيع حولان فقد تم رضاعه و صار اللبن بعد ذلك بمنزلة سائر الأغذية فلهذا كان الرضاع بعد الحولين غير معتبر لا يحرم

و يؤخذ من هذا النص و من قوله تعالى:﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ﴾[الأحقاف: ١٥]:—

أن أقل مدة الحمل ستة أشهر و أنه يمكن وجود الولد بها.

(وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ)الأب (رِزْقُهُنَّ) نفقتها و هى الأجرة للرضاع (وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ)

بِمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ أَمْثَالِهِنَّ فِي بَلَدِهِنَّ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا إِقْتَارٍ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ فِي يَسَارِهِ وَتَوَسُّطِهِ وَإِقْتَارِهِ

كقوله{لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}[الطَّلاقِ:7]

فلهـــــذا قال:(لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ)

فلا يكلف الفقير أن ينفق نفقة الغنى و لا من لم يجد شيئا بالنفقة حتى يجد

(لَا)لا يحل أن (تُضَآرَّ) الـــــ(وَٰلِدَةُۢ) بسبب (بِوَلَدِهَا)

1-إما أن تمنع من إرضاعه[كَمَا لَا يَحِلُّ لَهُ انْتِزَاعُهُ مِنْهَا لِمُجَرَّدِ الضِّرَارِ لَهَا]

2-أو لا تُعطى ما يجب لها من النفقة و الكسوة أو الأجرة

(وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ)

أن الولد لأبيه لأنه موهوب له و لأنه من كسبه فلذلك جاز له الأخذ من ماله رضي أو لم يرض بخلاف الأم

(بِوَلَدِهِۦ)

1-بأن تمتنع من إرضاعه على وجه المضارة له

2-أو تطلب زيادة عن الواجب ونحو ذلك من أنواع الضرر.

3-بأن تَدْفَعُهُ عَنْهَا لِتَضُرَّ أَبَاهُ بِتَرْبِيَتِهِ

وَ لَكِنْ لَيْسَ لَهَا دفعه إِذَا وَلَدَتْهُ حَتَّى تَسْقِيَهُ اللِّبَنَ الَّذِي لَا يَعِيشُ بِدُونِ تَنَاوُلِهِ غَالِبًا ثُمَّ بَعْدَ هَذَا لَهَا رَفْعُهُ عَنْهَا إِذَا شَاءَتْ

(وَعَلَى ٱلْوَارِثِ)على وارث الطفل إذا عُدِمَ الأب و كان الطفل ليس له مال

(مِثْلُ ذَٰلِكَۗ)ما على الأب من النفقة للمرضع و الكسوة

فدل على وجوب نفقة الأقارب المعسرين على القريب الوارث الموسر

(فَإِنْ أَرَادَا)الأبوان(فِصَالًا)فطام الصبى قبل الحولين

(و ليس كما يتوهم بعضهم أن الفصال هو الطلاق و انه يشرع التشاور و التراضى على الطلاق وهذا خطأ و الصواب ما ذُكر)

(عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا)بأن يكونا راضيين

(وَتَشَاوُرٍ)فيما بينهما هل هو مصلحة للصبى أم لا ؟ فإن كان مصلحة و رضيا

(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ)فى فطامه قبل الحولين-ليصلا إلى ما فيه مصلحة المولود.

فدلت الآية بمفهومها:–على أنه إن رضي أحدهما دون الآخر أو لم يكن مصلحة للطفل أنه لا يجوز فطامه.

(وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ)تطلبوا لهم المراضع غير أمهاتهم على غير وجه المضارة

(فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم)إذا سلَّم الوالد للأم حقَّها و سلَّم للمرضعة(مَّآ ءَاتَيۡتُم)الأجر(بِٱلۡمَعۡرُوفِ)بما يتعارفه الناس

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ)فمجازيكم على ذلك بالخير والشر233

فوائد الرضاعة الطبيعية الرابط

1-يحتوي حليب الأم على مضاد حيوي طبيعي يقي الطفل من كثير من الأمراض ويقوى الجهاز المناعى لديه
2-كما يحتوي حليب الأم على مواد مضادة للبكتريا والسموم والجراثيم تساعد الطفل على مقاومة حالات التسمم.
وتؤكد الدراسات (مثل Iowa Extension Service) أن ملعقة واحدة من حليب الأم تحوي مضادات حيوية تقتل 3 ملايين جرثومة!! ولذلك حتى لو تناول الطفل ملعقة واحدة من حليب أمه فسوف تكون ذات فائدة كبيرة.
3-وبينت بعض الدراسات أن نسبة العوامل التي تزيد من قدرة جهاز المناعة لدى الطفل تزداد في حليب أمه كلما كبُر وأصبح أكثر عرضة للجراثيم وانظروا معي كيف أن الله تعالى زود حليب الأم بهذه العوامل المناعية وكيف تزاد كميتها مع حاجة الطفل لها هل هذا من صنع الطبيعة؟
4-يتميز حليب الأم بأنه معقم و جاهز للاستعمال وليس بحاجة للتعقيم أو التحضير و حتى درجة حرارته مناسبة للطفل (ليس بحاجة للتسخين).
5-كما أن حليب الأم لا يسبب حساسية للرضيع ويحميه من كثير من الأمراض الخطيرة مثل البول السكرى و تصلب الشرايين وبعض أنواع السرطان و الكساح والسمنة وأمراض الكلى وأمراض عديدة.
6-هنالك أمر مهم يتميز به حليب الأم لا توجد هذه الميزة في أي نوع آخر من أنواع الحليب وهو أنه يتطور مع نموّ الطفل ويتناسب مع نمو جسمه.بعكس الحليب الصناعي الثابت التركيب و الذي نحتاج معه لتغيير نوعه كل عدة أشهر مع تطور عمر الطفل.
7-بالنسبة للطفل المولود حديثاً يعتبر حليب الأم من أسهل الأغذية هضماً لاحتوائه على خمائر هاضمة.
8-كما أن الإرضاع الطبيعي يعود بالفائدة على الأم ووقايتها من سرطان الثدى.
9-كما أن الرضعات الأولى بالنسبة للطفل الحديث الولادة تحتوي على تركيز عالٍ من البروتينات المضادة لنمو البكتريا وإعطائه كميات كبيرة من الأجسام المضادة للأمراض وهو في هذه الحال بأمس الحاجة إليها.
10-إن الإرضاع الطبيعي للطفل ينعكس إيجابياً على استقرار حالته النفسية ويقيه من كثير من الاضطرابات النفسية والسبب في ذلك هو أن حليب الأم هو الغذاء المثالي لأجهزة جسم الطفل وحسن أدائها واستقرارها.
11-كما أن حليب الأم يساعد الطفل على تنمية ذكائه ويؤثر على سلوك الطفل إيجابياً و حسن بناء جسده وعقله.

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٣٤ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ
فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ
أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٣٥
لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ
وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ
وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ
وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧

(وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا)أي: إذا توفي الزوج مكثت زوجته

(يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ)متربصة (أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ)أيام وجوبا

و الحكمة في ذلك ليتبين الحمل في مدة الأربعة و يتحرك فى ابتدائه في الشهر الخامس

وهذا العام مخصوص بالحوامل فإن عدتهن بوضع الحمل و كذلك الأمة عدتها على النصف من عدة الحرة شهران و خمسة أيام.

*وَ هَذَا الْحُكْمُ يَشْمَلُ الزَّوْجَاتِ الْمَدْخُولَ بِهِنَّ وَغَيْرَ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ بالإجماع ومستنده في غير الْمَدْخُولِ بِهَا عُمُوم الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ

(فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ)انقضت عدتهن

(فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ)من مراجعتها للزينة و الطيب

و فى خطابه للأولياء بقوله:(فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ):-

دليل على أن الولي ينظر على المرأة ويمنعها مما لا يجوز فعله ويجبرها على ما يجب وأنه مخاطب بذلك واجب عليه.

(بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ)على وجه غير محرم و لا مكروه.

وفي هذا وجوب الإحداد مدة العدة على المتوفى عنها زوجها دون غيرها من المطلقات والمفارقات وهو مجمع عليه بين العلماء.

أحمد4099 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: أُتِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍﷺ فَسُئِلَ عَنْ رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً وَ لَمْ يَكُنْ سَمَّى لَهَا صَدَاقًا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا فَلَمْ يَقُلْ فِيهَا شَيْئًا فَرَجَعُوا ثُمَّ أَتَوْهُ فَسَأَلُوهُ؟ فَقَالَ: سَأَقُولُ فِيهَا بِجَهْدِ رَأْيِي فَإِنْ أَصَبْتُ فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُوَفِّقُنِي لِذَلِكَ وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَهُوَ مِنِّي:

«لَهَا صَدَاقُ نِسَائِهَا وَلَهَا الْمِيرَاثُ وَعَلَيْهَا الْعِدَّةُ» فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعَ فَقَالَ:

أَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺأَنَّهُ قَضَى بِذَلِكَ قَالَ: هَلُمَّ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ؟ فَشَهِدَ أَبُو الْجَرَّاحِ بِذَلِكَ

*وَ لَا يَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا وَهِيَ حَامِلٌ فَإِنَّ عِدَّتَهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ وَلَوْ لَمْ تَمْكُثْ بَعْدَهُ سِوَى لَحْظَةٍ؛ لِعُمُومِ قَوْلِهِ:{وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطَّلَاق: 4].

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرَى: أَنْ عَلَيْهَا أَنْ تَتَرَبَّصَ بِأَبْعَدِ الْأَجَلَيْنِ مِنَ الْوَضْعِ أَوْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرٍ لِلْجَمْعِ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ وَهَذَا مَأْخَذٌ جَيِّدٌ وَمَسْلَكٌ قَوِيٌّ لَوْلَا مَا ثَبَتَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي حَدِيثِ سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ الْمُخَرَّجِ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ

*البخارى3991 - عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ أَبَاهُ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ الزُّهْرِيِّ:يَأْمُرُهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى سُبَيْعَةَ بِنْتِ الحَارِثِ الْأَسْلَمِيَّةِ فَيَسْأَلَهَا عَنْ حَدِيثِهَا وَعَنْ مَا قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺحِينَ اسْتَفْتَتْهُ(في انقضاء عدة الحامل بالوضع)فَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ يُخْبِرُهُ أَنَّ سُبَيْعَةَ بِنْتَ الحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ:أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ سَعْدِ ابْنِ خَوْلَةَ(زوجة له) وَ هُوَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا فَتُوُفِّيَ عَنْهَا فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ وَهِيَ حَامِلٌ فَلَمْ تَنْشَبْ(تلبث) أَنْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا(طهرت من دمها وخرجت من نفاسها)تَجَمَّلَتْ لِلْخُطَّابِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكَكٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ(وكان ذلك الدخول لا خلوة فيه وخاليا عن مخالفة آداب المرأة المسلمة مع الحجاب الكامل الذي ألفه المسلمونوكان انكاره لما اعتادوه من عدم ظهور المعتدة كليا وكان ظنه أنها مازالت في العدة)فَقَالَ لَهَا:مَا لِي أَرَاكِ تَجَمَّلْتِ لِلْخُطَّابِ تُرَجِّينَ (من الترجية وهي الأمل وضد اليأس)النِّكَاحَ؟فَإِنَّكِ وَاللَّهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ(ليس من شأنك النكاح) حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَ عَشْرٌ

قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ أَمْسَيْتُ وَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺفَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ «فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي وَ أَمَرَنِي بِالتَّزَوُّجِ إِنْ بَدَا لِي»

*البخارى5334 عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الثَّلَاثَةَ:قَالَتْ زَيْنَبُ:

دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ

فَدَعَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةٌ خَلُوقٌ أَوْ غَيْرُهُ فَدَهَنَتْ مِنْهُ جَارِيَةً ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضَيْهَا

ثُمَّ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:

«لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»

*البخارى 5338 - عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّهَا أَنَّ امْرَأَةً تُوُفِّيَ زَوْجُهَا فَخَشُوا عَلَى عَيْنَيْهَا

فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺفَاسْتَأْذَنُوهُ فِي الكُحْلِ فَقَالَ:

«لَا تَكَحَّلْ قَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ تَمْكُثُ فِي شَرِّ أَحْلَاسِهَا(جمع حلس وهو الثوب أو الكساء الرقيق) أَوْ شَرِّ بَيْتِهَا

فَإِذَا كَانَ حَوْلٌ فَمَرَّ كَلْبٌ رَمَتْ بِبَعَرَةٍ فَلَا حَتَّى تَمْضِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَ عَشْرٌ»

*وَ مِنْ هَاهُنَا ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَاسِخَةٌ لِلْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا وَهِيَ قَوْلُهُ:

{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ} [البَقَرَة: 240]

<u>وَ الْغَرَضُ أَنَّ الْإِحْدَادَ:-</u>

هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَرْكِ الزِّينَةِ مِنَ الطِّيبِ وَ لُبْسِ مَا يَدْعُوهَا إِلَى الْأَزْوَاجِ مِنْ ثِيَابٍ و حُلِيٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ

-وَهُوَ وَاجِبٌ فِي عِدَّةِ الْوَفَاةِ قَوْلًا وَاحِدًا-وَلَا يَجِبُ فِي عِدَّةِ الرَّجْعِيَّةِ قَوْلًا وَاحِدًا
۞وَ هَلْ يَجِبُ فِي عِدَّةِ الْبَائِنِ؟ فِيهِ قَوْلَانِ.
وَيَجِبُ الْإِحْدَادُ عَلَى جَمِيعِ الزَّوْجَاتِ الْمُتَوَفَّى عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ:-
الصَّغِيرَةُ وَالْآيِسَةُ وَالْحُرَّةُ وَالْأَمَةُ وَالْمُسْلَمَةَ وَالْكَافِرَةُ لِعُمُومِ الْآيَةِ.

(وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ)عالم بأعمالكم ظاهرها و باطنها جليلها و خفيها فمجازيكم عليها234

(وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ)
التَّعْرِيضُ أَنْ تَقُول: إِنِّي أُرِيدُ التَّزْوِيجَ وَ إِنِّي أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ أَمْرِهَا وَ مِنْ أَمْرِهَا-وَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ رَزَقَنِي امْرَأَةً

(مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ)المتوفَّى عنهنَّ أزواجهن أو المطلقات طلاقًا بائنًا في أثناء عدتهن

(أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ)و لا ذنب عليكم أيضًا فيما أضمرتموه (فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ)من نية الزواج بهن بعد انتهاء عدتهن

وهو المراد بقوله: (وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا)يعنى الزنا-لَا تَقُلْ لَهَا:إِنِّي عَاشِقٌ وَ عَاهِدِينِي أَلَّا تَتَزَوَّجِي غَيْرِي

–و أما التعريض فقد أسقط تعالى فيه الجناح.

و الفرق بينهما:

أن التصريح لا يحتمل غير النكاح فلهذا حُرِمَ خوفا من استعجالها و كذبها في انقضاء عدتها رغبة فى النكاح

۞ففيه دلالـــــة على:–

1–منع وسائل المحرم و قضاء لحق زوجها الأول بعدم مواعدتها لغيره مدة عدتها.

و أما التعريض وهو الذي يحتمل النكاح و غيره فهو جائز للبائن كأن يقول لها: إنى أريد التزوج

و إنى أحب أن تشاوريني عند انقضاء عدتك ونحو ذلك

فهذا جائز لأنه ليس بمنزلة الصريح وفي النفوس داعٍ قوي إليه.

2–و كذلك إضمار الإنسان في نفسه أن يتزوج من هي في عدتها إذا انقضت

(إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلًا مَّعۡرُوفًاۚ)ما تقدم من اباحة التعريض كقوله انى فيك لراغب و نحو ذلك

{عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ}فِي أَنْفُسِكُمْ فَرَفَعَ الْحَرَجَ عَنْكُمْ فِي ذَلِكَ

(وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ)على عقد النكاح في زمان العدة

(حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ)تنقضى العدة-

-و قد اجمع العلماء علي انه لا يصح العقد فِي مدة العدة

(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ)فانووا الخير و لا تنووا الشر خوفا من عقابه و رجاء لثوابه.
تَوَعَّدَهُمْ عَلَى مَا يَقَعُ فِي ضَمَائِرِهِمْ مِنْ أُمُورِ النِّسَاءِ وَ أَرْشَدَهُمْ إِلَى إِضْمَارِ الْخَيْرِ دُونَ الشَّرِّ
ثُمَّ لَمْ يُؤْيِسْهُم مَنْ رَحِمَتْهُ وَ لَمْ يُقْنطهم مِنْ عَائِدَتِهِ فَقَالَ:-

(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ)لمن صدرت منه الذنوب فتاب منهاو رجع إلى ربه

(حَلِيمٞ)حيث لم يعاجل العاصين على معاصيهم مع قدرته عليهم235

(لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ)ليس عليكم يا معشر الأزواج جناح و إثم

(إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ)بتطليق النساء (مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ)قبل المسيس

(أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ)و قبل فرض المهر

و إن كان في ذلك كسر لها فإنه ينجبر بالمتعة فعليكم أن تمتعوهن بأن تعطوهن شيئا من المال جبرا لخواطرهن.

(عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ)المعسر(قَدَرُهُۥ)و هذا يرجع إلى العرف و أنه يختلف باختلاف الأحوال ولهذا قال:

(مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا)فهذا حق واجب(عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ)ليس لهم أن يبخسوهن.

فكما تسببوا لتشوفهن و اشتياقهن و تعلق قلوبهن ثم لم يعطوهن ما رغبن فيه فعليهم في مقابلة ذلك المتعة.

فلله ما أحسن هذا الحكم الإلهى وأدله على حكمة شارعه و رحمته (وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ)المائدة: ٥٠

*فهذا حكم المطلقات قبل المسيس و قبل فرض المهر236

ثم ذكر حكم المفروض لهن فقال:-

(وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ)إذا طلقتم النساء قبل المسيس

(وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ)

و بعد فرض المهر فللمطلقات من المهر المفروض نصفه و لكم نصفه.

هذا هو الواجب ما لم يدخله عفو و مسامحة بأن تعفو عن نصفها لزوجها إذا كان يصح عفوها

(أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ)

أو يسمح الزوج بأن يترك للمطلقة المهر كله

-و هو الزوج على الصحيح لأنه الذي بيده حل عقدته و لأن الولى لا يصح أن يعفو عن ما وجب للمرأة لكونه غير مالك و لا وكيل.

(وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ)

ثم رغب في العفو وأن من عفا كان أقرب لتقواه لكونه إحسانا موجبا لشرح الصدر

ولكون الإنسان لا ينبغي أن يهمل نفسه من الإحسان والمعروف وينسى الفضل الذي هو أعلى درجات المعاملة

لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتيـــــــن:-

1-إما عدل و إنصاف واجب و هـــــــــو:-

أخذ الواجب و إعطاء الواجب.

2-و إما فضل و إحسان و هـــــــو:-

1-إعطاء ما ليس بواجب و التسامح فى الحقوق

2-و الغض مما فى النفس

فلا ينبغى للإنسان أن ينسى هذه الدرجة و لو في بعض الأوقات و خصوصا لمن بينك و بينه معاملة أو مخالطة فإن الله مجاز المحسنين بالفضل و الكرم و لهــــــذا قال:-

(إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ)237

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا
فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ
وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ
حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾
۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ
إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً
وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

(حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ)يأمر بالمحافظة على الصلوات عمومًا و على

(وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ)و هى العصر خصوصًا

–و المحافظة عليها أداؤها بوقتـــها وشروطها وأركـــانها وخشـــوعها وجميع ما لها من [واجب و مستحب]

–وبالمحافظة على الصلوات تحصل المحافظة على سائر العبادات و تفيد النهى عن الفحشاء و المنكر خصوصًا إذا أكملها

*الصحيح المسند من أسباب النزول:مسند أحمد21595 -عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ و لَمْ يَكُنْ يُصَلِّي صَلَاةً أَشَدَّ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهَا

قَالَ: فَنَزَلَتْ:{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى}[البقرة: 238] قَالَ: «إِنَّ قَبْلَهَا صَلَاتَيْنِ و بَعْدَهَا صَلَاتَيْنِ»

قال الحافظ في الفتح و رواه أحمد من وجه آخر و زاد:-

كان النبي ﷺ يصلى الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلا الصف أو الصفان و الناس في قائلتهم و فى تجارتهم فنزلت

*مسلم626عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

الَّذِى تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وُتِرَ (انتزع منه أهله وماله) أَهْلَهُ و مَالَهُ»(و فى رواية فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ)البخارى 553

كما أمر بقوله(وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ)ذليلين خاشعين ففيه الأمر بالقيام و القنوت و النهى عن الكلام و الأمر بالخشوع هذا مع الأمن و الطمأنينة.

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

مجمع الزوائد 10869–وَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: 238]

قَالَ: كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي الصَّلَاةِ يَجِيءُ خَادِمُ الرَّجُلِ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَيُكَلِّمُهُ بِحَاجَتِهِ فَنُهُوا عَنِ الْكَلَامِ.

*البخارى4534-عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ﵁ قَالَ:«كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلاَةِ يُكَلِّمُ أَحَدُنَا أَخَاهُ فِي حَاجَتِهِ»

حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}[البقرة: 238]«فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ»238

(فَإِنْ خِفْتُمْ)لم يذكر ما يخاف منه ليشمل الخوف من كافر و ظالم و سبع

وغير ذلك من أنواع المخاوف أي: إن خفتم بصلاتكم على تلك الصفة فصلوها

(فَرِجَالًا)ماشين على أقدامكم(أَوْ رُكْبَانًا)على الخيل و الإبل وغيرها

يلزم على ذلك أن يكونوا مستقبلي القبلة و غير مستقبليها و في هذا زيادة التأكيد على المحافظة على وقتها

–حيث أمر بذلك ولو مع الإخلال بكثير من الأركان والشروط و أنه لا يجوز تأخيرها عن وقتها

و لو فى هذه الحالة الشديدة فصلاتها على تلك الصورة أحسن و أفضل بل أوجب من صلاتها مطمئنا خارج الوقت

(فَإِذَآ أَمِنتُمْ)زال الخوف عنكم(فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ)

هذا يشمل جميع أنواع الذكر ومنه الصلاة على كمالها و تمامها

(كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ)

فإنها نعمة عظيمة ومنة جسيمةتقتضي مقابلتها بالذكر و الشكر ليبقي نعمته عليكم و يزيدكم عليها.

*البخارى4535 عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَاكَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ صَلاَةِ الخَوْفِ
قَالَ:«يَتَقَدَّمُ الإِمَامُ وَطَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ فَيُصَلِّي بِهِمُ الإِمَامُ رَكْعَةً وَتَكُونُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ العَدُوِّ لَمْ يُصَلُّوا فَإِذَا صَلَّى الَّذِينَ مَعَهُ رَكْعَةًاسْتَأْخَرُوا مَكَانَ الَّذِينَ لَمْ يُصَلُّوا وَ لاَ يُسَلِّمُونَ وَ يَتَقَدَّمُ الَّذِينَ لَمْ يُصَلُّوا فَيُصَلُّونَ مَعَهُ رَكْعَةً ثُمَّ يَنْصَرِفُ الإِمَامُ وَقَدْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَيَقُومُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ
فَيُصَلُّونَ لِأَنْفُسِهِمْ رَكْعَةً بَعْدَ أَنْ يَنْصَرِفَ الإِمَامُ فَيَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ قَدْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ
فَإِنْ كَانَ خَوْفٌ هُوَ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ صَلَّوْا رِجَالًا قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ أَوْ رُكْبَانًا مُسْتَقْبِلِي القِبْلَةِ أَوْ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِيهَا

*مسلم 839-وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ﵁:فَإِذَا كَانَ خَوْفٌ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَلِّ رَاكِبًا أَوْ قَائِمًا تُومِئُ إِيمَاءً»

*مسلم687عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ﵄قَالَ:

فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ ﷺفِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا وَ فِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ وَ فِي الْخَوْفِ رَكْعَةً

ثم قال تعالى:-(وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ)الأزواج الذين يموتون

(وَيَذَرُونَ)و يتركون خلفهم (أَزۡوَٰجًا)فعليهم أن يوصوا

(وَصِيَّةً لِّأَزۡوَٰجِهِم)يوصون أن يلزمن بيوتهم

فَأَمَّا إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ بِالْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ وَ الْعَشْرِ أَوْ بِوَضْعِ الْحَمْلِ
وَ اخْتَرْنَ الْخُرُوجَ وَ الِانْتِقَالَ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ فَإِنَّهُنَّ لَا يُمْنَعْنَ مِنْ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ

{فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ}

(مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ)مدة سنة(غَيۡرَ إِخۡرَاجٍ)لا يخرجن منها

(فَإِنۡ خَرَجۡنَ)من أنفسهن

(فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ)أيها الأولياء

(فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ)

أي: من مراجعة الزينة و الطيب و نحو ذلك و أكثر المفسرين أن هذه الآية منسوخة بما قبلها و هى قوله:

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾البقرة: ٢٣٤

و قيل لم تنسخها بل الآية الأولى دلت على أن أربعة أشهر و عشر واجبة

و ما زاد على ذلك فهي مستحبة ينبغى فعلها تكميلا لحق الزوج و مراعاة للزوجة

و الدليل على أن ذلك مستحب أنه هنا نفى الجناح عن الأولياء إن خرجن قبل تكميل الحول

فلو كان لزوم المسكن واجبا لم ينف الحرج عنهم.

*البخارى4530 - عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: ابْنُ الزُّبَيْرِ قُلْتُ: لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ

{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا} [البقرة: 234]قَالَ: قَدْ نَسَخَتْهَا الآيَةُ الأُخْرَى فَلِمَ تَكْتُبُهَا؟ أَوْ تَدَعُهَا؟

قَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ»240

(وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ)لكل مطلقة (مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ)

على كل متق جبرا لخاطرها و أداء لبعض حقوقها

و هذه المتعة واجبة على من طلقت قبل المسيس و الفرض سنة في حق غيرها

–و قيل إن المتعة واجبة على كل مطلقة احتجاجا بعموم هذه الآية

و لكن القاعدة أن المطلق محمول على المقيّد

و تقدم أن الله فرض المتعة للمطلقة قبل الفرض و المسيس خاصة241

و لما بيّن تعالى هذه الأحكام العظيمة المشتملة على الحكمة و الرحمة امتن بها على عباده فقـــــال:

(كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ)حدوده و حلاله و حرامه و الأحكام النافعة لكم

(لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ) فتعرفونها وتعرفون المقصود منها فإن من عرف ذلك أوجب له العمل به242

(أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ) قصة جالوت و طالوت و أثرها فى الاستجابة243-253

*البخارى5729 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ

خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الوَبَاءَ

قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ.قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ

فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ فَاخْتَلَفُوا
فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَ لاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺوَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ فَقَالَ:
ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ
فَسَلَكُوا سَبِيلَ المُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ:-
ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ
فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ:
إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ.قَالَ أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟
فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ
أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ
أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَ إِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟
قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - وَ كَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ -
فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:
«إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَ إِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَ أَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»
قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ

يقص تعالى علينا قصة الذين خرجوا من ديارهم على كثرتهم واتفاق مقاصدهم بأن الذي أخرجهم منها حذر الموت من وباء أو غيره يقصدون بهذا الخروج السلامة من الموت و لكن لا يغني حذر عن قدر

(فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ) فماتوا

(ثُمَّ) إن الله تعالى(أَحۡيَٰهُمۡۚ)إما بدعوة نبي أو بغير ذلك رحمة بهم و لطفا و حلما

و بيانا لآياته لخلقه بإحياء الموتى ولهذا قال:(إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ)عظيم

(عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ)

فلا تزيدهم النعمة شكرا بل ربما استعانوا بنعم الله على معاصيه

وقليل منهم الشكور الذي يعرف النعمة ويقر بها ويصرفها في طاعة المنعم243

*ثم أمر تعالى بالقتال في سبيله وهو قتال الأعداء الكفار لإعلاء كلمة الله و نصر دينه فقال:

(وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)لنصرة دينه
كَمَا أَنَّ الْحَذَرَ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ كَذَلِكَ الْفِرَارُ مِنَ الْجِهَادِ وَ تَجَنُّبِهِ لَا يُقَرِّبُ أَجَلًا وَ لَا يُبَاعِدُهُ
-بَلِ الْأَجَلُ الْمَحْتُومُ وَ الرِّزْقُ الْمَقْسُومُ مُقَدَّرٌ مُقَنَّنٌ لَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ

كقوله ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ آل عمران: ١٦٨

أي: فأحسنوا نياتكم و اقصدوا بذلك وجه الله و اعلموا أنه لا يفيدكم القعود عن القتال شيئا

و لو ظننتم أن في القعود حياتكم و بقاءكم فليس الأمر كذلك

و لهذا ذكر القصة السابقة توطئة لهذا الأمر فكما لم ينفع الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت خروجهم بل أتاهم ما حذروا من غير أن يحتسبوا فاعلموا أنكم كذلك.

(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ)لأقوالكم (عَلِيمٞ) بنيَّاتكم و أعمالكم244

و لما كان القتال في سبيل الله لا يتم إلا بالنفقة و بذل الأموال في ذلك أمر تعالى بالإنفاق في سبيله و رغب فيه و سماه قرضا فقال:(مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا)

*** المعجم الكبير 764 - عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا} [البقرة: 245] قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ يُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ قَالَ: «نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ» قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ فَنَاوَلَهُ يَدَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي وَفِي حَائِطِي سِتَّمِائَةِ نَخْلَةٍ ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْحَائِطِ فَنَادَى يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ وَهِيَ فِي الْحَائِطِ فَقَالَتْ: لَبَّيْكَ فَقَالَ: اخْرُجِي فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي

Oفينفق ما تيسر من أمواله في طرق الخيرات خصوصا في الجهاد و الحسن هو الحلال المقصود به وجه الله تعالى(فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ)

*كقوله﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾البقرة: ٢٦١

الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة بحسب :-

1-حالة المنفق2-و نيتـــــــه

3- و نفع نفقته4-و الحاجة إليها

-و لما كان الإنسان ربما توهم أنه إذا أنفق افتقر دفع تعالى هذا الوهم بقوله:

(وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ)الرزق عمن يشاء(وَيَبۡصُۜطُ)يوسع الرزق عمن يشاء

فالتصرف كله بيديه و مدار الأمور راجع إليه

فالإمساك لا يبسط الرزق- و الإنفاق لا يقبضه

و مع ذلك فالإنفاق غير ضائع على أهله بل لهم يوم يجدون ما قدموه كاملا موفرا مضاعفا

فلهذا قال:(وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ)فيجازيكم بأعمالكم.

*ففى هذه الآيات دليـــــــل على :-

1-أن الأسباب لا تنفع مع القضاء والقدر و خصوصا الأسباب التي تُتْرك بها أوامر الله.

2-و فيها:الآية العظيمة بإحياء الموتى أعيانا في هذه الدار.

3-و فيها:الأمر بالقتال

4-و النفقة في سبيل الله و ذكر الأسباب الداعية لذلك الحاثة عليه من تسميته قرضا و مضاعفته

5- و أن الله يقبض ويبسط وإليه ترجعون245

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ
قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ
فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ)يقص تعالى على نبيه قصة الملأ (مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ)و هم الأشراف و الرؤساء

و خص الملأ بالذكر لأنهم في العادة هم الذين يبحثون عن مصالحهم ليتفقوا فيتبعهم غيرهم على ما يرونه

و ذلك (مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا)عيِّـــــن لنا ملكا

(نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)ليجتمع متفرقنا و يُقاوم بنا عدونا

و لعلهم في ذلك الوقت ليس لهم رئيس يجمعهم كما جرت عادة القبائل أصحاب البيوت كل بيت لا يرضى أن يكون من البيت الآخر رئيس

–فالتمسوا من نبيهم تعيين ملك يرضي الطرفين و يكون تعيينه خاصا لعوائدهم

و كانت أنبياء بني إسرائيل تسوسهم كلما مات نبي خلفه نبي آخر

فلما قالوا لنبيهم تلك المقالة(قَالَ)لهم نبيهم

(هَلْ عَسَيْتُمْ)لعلكم تطلبون شيئا و هو(إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ)إذا كتب عليكم

(أَلَّا تُقَاتِلُوا)لا تقومون به

فعرض عليهم العافية فلم يقبلوها و اعتمدوا على عزمهم و نيتهم فقالوا:–

(قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)أى شيء يمنعنا من القتال

(وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا)و قد ألجأنا إليه بأن أخرجنا من أوطاننا

و سببت ذرارينا فهذا موجب لكوننا نقاتل ولو لم يكتب علينا فكيف مع أنه فرض علينا وقد حصل ما حصل
و لهذا لما لم تكن نياتهم حسنة و لم يقوَ توكلهم على ربهم
(فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ)
فجبنوا عن قتال الأعداء وضعفوا عن المصادمة و زال ما كانوا عزموا عليه واستولى على أكثرهم الخور والجبن
(إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ)فعصمهم الله وثبتهم وقوى قلوبهم فالتزموا أمر الله ووطنوا أنفسهم على مقارعة أعدائه
فحازوا شرف الدنيا والآخرةو أما أكثرهم فظلموا أنفسهم و تركوا أمر الله فلهذا قال:
(وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ) مجيبا لطلبهم
(إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ)
فكان هذا تعيينا من الله الواجب عليهم فيه القبول والانقياد و ترك الاعتراض و لكن أبوا إلا أن يعترضوا
(قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا)
أي: كيف يكون ملكا وهو دوننا في الشرف و النسب
(وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ)
و مع هذا فهو فقير ليس عنده ما يقوم به الملك من الأموال
وهذا بناء منهم على ظن فاسد:-
و هو أن الملك ونحوه من الولايات مستلزم لشرف النسب و كثرة المال
و لم يعلموا أن الصفات الحقيقية التي توجب التقديم مقدمة عليها
فلهذا قال لهم نبيهم:(قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ) فلزمكم الانقياد لذلك
(وَزَادَهُۥ بَسْطَةً) سَعَـــــة (فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ)عليكم (بقوة الرأى و الجسم اللذين بهما تتم أمور الملك)
*لأنه إذا تم رأيه و قوى على تنفيذ ما يقتضيه الرأي المصيب⇦ حصل بذلك الكمال
*و متى فاته واحد من الأمرين اختل عليه الأمر
*فلو كان قوي البدن مع ضعف الرأى⇦حصل في الملك خرق و قهر و مخالفة للمشروع قوة على غير حكمة
*و لو كان عالما بالأمور و ليس له قوة على تنفيذها ⇦لم يفده الرأي الذي لا ينفذه شيئا
(وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ)
الفضل كثير الكرم لا يخص برحمته و بره العام أحدا عن أحد و لا شريفا عن وضيع و لكنه مع ذلك
(عَلِيمٌ)بمن يستحق الفضل فيضعه فيه

–فأزال بهذا الكلام ما في قلوبهم من كل ريب و شك و شبهة لتبيينه أن أسباب الملك متوفرة فيه

–و أن فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ليس له راد و لا لإحسانه صاد 247

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ)

ثم ذكر لهم نبيهم أيضا آية حسية يشاهدونها وهى إتيان التابوت الذي قد فقدوه زمانا طويلا

(فِيهِ سَكِينَةٌ) وقار و جلالة (مِّن رَّبِّكُمْ)تسكن بها قلوبهم و تطمئن لها خواطرهم

(وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ)عَصَا مُوسَى وَ عَصَا هَارُونَ و لوحين من التوراة أوَ رُضَاضُ (فُتات مما تكسر) الْأَلْوَاحِ.

(تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ)

جاءَتِ الْمَلَائِكَةُ تَحْمِلُ التَّابُوتَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ حَتَّى وَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَىْ طَالُوتَ وَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ.

(إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ) عَلَى صِدْقِى فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنَ النبوة و فيما أمرتكم به من طَاعَةِ طَالُوتَ

(إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) بِاللَّهِ و اليوم الآخر 248

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي
وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ
أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا
وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ
وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ
بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾
تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

لما تملَّك طالوت ببني إسرائيل واستقر له الملك تجهزوا لقتال عدوهم

(فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ)أى جنود بنى إسرائيل انفصل من الديار و خرج يريد العدو
و كانوا عددا كثيرا و جما غفيرا امتحنهم بأمر الله ليتبين الثابت المطمئن ممن ليس كذلك فقال:

(قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم)مختبركم

(بِنَهَرٖ)لعل هو نهر الأردن الآن.

(فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي)فهو عاص و لا يتبعنا لعدم صبره و ثباته و لمعصيته

(وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ)لم يشرب منه فإنه مني

(إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ)الغَرفة بالفتح المرةو بالضم الاسم من الاغتراف

(بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ)

*البخارى3958 - عَنِ البَرَاءِ ﷺ قَالَ: كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَتَحَدَّثُ:
«أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ و لَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ بِضْعَةَ عَشَرَ و ثَلَاثَ مِائَةٍ»
–فلا جناح عليه في ذلك و لعل الله أن يجعل فيها بركة فتكفيه

و في هذا الابتلاء ما يدل على أن الماء قد قل عليهم ليتحقق الامتحان فعصى أكثرهم و شربوا من النهر الشرب المنهى عنه و رجعوا على أعقابهم و نكصوا عن قتال عدوهم

-و كان في عدم صبرهم عن الماء ساعة واحدة:-

1-أكبر دليل على عدم صبرهم على القتال الذي سيتطاول و تحصل فيه المشقة الكبيرة

2-و كان في رجوعهم عن باقي العسكر ما يزداد به الثابتون توكلا على الله و تضرعا و استكانة و تبرؤا من حولهم و قوتهم و زيادة صبر لقلتهم و كثرة عدوهم فلهذا قال تعالى:

(فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ)أي النهر (هُوَ) أي: طالوت

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ)

وهم الذين أطاعوا أمر الله و لم يشربوا من النهر الشرب المنهي عنه فرأوا... قلتهم و كثرة أعدائهم

(قَالُواْ)قال كثير منهم

(لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ)لكثرتهم و عَددهم و عُددهم

(قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ)

يستيقنون

(أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ)

فَشَجَّعَهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ

(هم أهل الإيمان الثابت و اليقين الراسخ مثبتين لباقيهم و مطمئنين لخواطرهم و آمرين لهم بالصبر)

بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ عَنْ كَثْرَةِ عَدَدٍ وَ لَا عِدَدٍ

(كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ)بإرادته و مشيئته

فالأمر لله تعالى و العزيز من أعزه الله و الذليل من أذله الله فلا تغني الكثرة مع خذلانه و لا تضر القلة مع نصره

(وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)بالنصر و المعونة و التوفيق

فأعظم جالب لمعونة الله صبر العبد لله فوقعت موعظته في قلوبهم و أثرت معهم249

(وَلَمَّا بَرَزُواْ)ظهروا

(لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ)و رأوا الخطر رأي العين فزعوا إلى الله بالدعاء والضراعة

(قَالُواْ)جميعهم

(رَبَّنَآ أَفْرِغْ) أنزل صبرا

(عَلَيۡنَا صَبۡرٗا) من عندك و قوِ قلوبنا

(وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا)عن التزلزل و الفرار

(وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ)

من هاهنا نعلم أن جالوت و جنوده كانوا كفارا فاستجاب الله لهم ذلك الدعاء لإتيانهم بالأسباب الموجبة لذلك

و نَصَرهم عليهم250

(فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ)عليه السلام و كان مع جنود طالوت

(جَالُوتَ)باشر قتل ملك الكفار بيده لشجاعته و قوته و صبره

(وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ)آتى الله داود

(ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ)منَّ عليه بتملكه على بني إسرائيل مع الحكمة

و هى النبوة المشتملة على [الشرع العظيم و الصراط المستقيم]

و لهذا قال (وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ)من العلوم الشـــرعية و العلوم السيـاسية

فجمع الله له الملك و النبوة و قد كان من قبله من الأنبياء يكون الملك لغيرهم

-فلما نصـــــرهم الله تعالى:-

1-اطمـــأنوا في ديارهم

2-و عبـــــدوا الله آمنين مطمئنين لخذلان أعدائهم و تمكينهم من الأرض

و هذا كله من آثار الجهاد في سبيله فلو لم يكن لم يحصل ذلك فلهذا قال

(وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ)لولا أنه يدفع بمن يقاتل في سبيله كيد الفجار و تكالب الكفار

(لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ) :-

1-باستيلاء الكفار عليها

2-و إقامتهم شعائر الكفر

3-و منعهم من عبادة الله تعالى و إظهار دينه

كقوله﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ ﴾الحج: ٤٠

(وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ)

حيث شرع لهم الجهاد الذي فيه سعادتهم و المدافعة عنهم

و مكنهم من الأرض بأسباب يعلمونها و أسباب لا يعلمونها251

ثم قال تعالى: (تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ)بالصدق الذي لا ريب فيها المتضمن :-

1-للاعـــــتبار

2-و الاســـــتبصار

3-و بيــــان حقائق الأمور

(وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)

هذا توكيد و توطيد للقسم

فهذه شهادة من الله لرسوله برسالته التي من جملة أدلتها ما قصه الله عليه من أخبار الأمم السالفين و الأنبياء و أتباعهم و أعدائهم

التى لولا خبر الله إياه لما كان عنده بذلك علم بل لم يكن في قومه من عنده شيء من هذه الأمور

فدل أنه رسول الله حقا و نبيه صدقا الذي بعثه بالحق و دين الحق ليظهره على الدين كله252

-و فى هذه القصة من الآيات و العبر ما يتذكر به أولو الألبــــاب:-

1-فمنها:أن اجتماع أهل الكلمة و الحل و العقد و بحثهم في الطريق الذي تستقيم به أمورهم و فهمه ثم العمل به أكبر سبب لارتقائهم و حصول مقصودهم

كما وقع لهؤلاء المَلأ حين راجعوا نبيهم في تعيين ملك تجتمع به كلمتهم و يلم متفرقهم و تحصل له الطاعة منهم

2-و منها:أن الحق كلما عورض و أوردت عليه الشبه ازداد وضوحا و تميز و حصل به اليقين التام

كما جرى لهؤلاء لما اعترضوا على استحقاق طالوت للملك أجيبوا بأجوبة حصل بها الإقناع و زوال الشبه و الريب.

3-و منها:أن العلم و الرأى مع القوة المنفذة بهما كمال الولايات و بفقدهما أو فقد أحدهما نقصانها و ضررها

4-و منها:أن الاتكال على النفس سبب الفشل و الخذلان و الاستعانة بالله

و الصبر و الالتجاء إليه سبب النصر فالأول كما في قولهم لنبيهم:-

(وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا)

فكأنه نتيجة ذلك أنه لما كتب عليهم القتال تولوا و الثانى فى قوله:

(ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله

5-و منها: أن من حكمة الله تعالى تمييز الخبيث من الطيب و الصادق من الكاذب و الصابر من الجبان

و أنه لم يكن ليذر العباد على ما هم عليه من الاختلاط و عدم التمييز.

6-و منها: أن من رحمته و سننه الجارية أن يدفع ضرر الكفار و المنافقين بالمؤمنين المقاتلين و أنه لولا ذلك لفسدت الأرض باستيلاء الكفر و شعائره عليها.